#على_وضعنا

(رحلة البحث عن الأفضل)

قصص

إسلام محمد يوسف

#على_وضعنا
المؤلف : إسلام محمد يوسف

تصميم الغلاف : أحمد بلال

الطبعة الأولي : يونيو 2017
رقم الإيداع : 2017/13108
الترقيم الدولي : 978-977-769-183-3

جميع حقوق الطبع محفوظه
الناشر: أوراق للنشر والتوزيع
awraaq@live.com
القاهرة – 2 شارع شريف
– الدور الخامس – مكتب 57
م : 01010490247
ت : 23963002(02)

الإهداء

أكتب لكل باحث عن الحقيقة، صادق مع نفسه، صاحب قضية، لا قطيعى.

إلى من لديه القدرة على نقد الأشياء المُسلَّم بها، إلى من يسعى لعالم أفضل ولوضع أفضل.

أكتب لأرضى شغفي.

أكتب لروح أبى، لأمى، لأخوتى، ولأحبائى الصغار ملك ومحمد.

أكتب لأكون جزءًا من مكتبة حبيبى ووجدان ابني.

(1)

أعدت لزوجها كل ما يشتهى وغطت طاولتها كالسماء الملبدة بالغيوم، تزينت كعروس، دخل ووجهه ينطق بالبؤس واليأس والعبوس، الإهانة والإقالة وفقدان العمل ثلاثة أمور لا يمكن تحملها فى يوم واحد، استدعته للغداء، صاح كمجنون خرج لتوه من العباسية، وقفت خلف بابها فتاة جائعة تستجديها، نهرتها الزوجة، وألقت بحسرة مكتومة كل ما أعدته لساعات فى ثوان فى سلة المهملات، قبل دقائق من جلوس الفتاة على مائدة الطعام بصحبة القطط، ولكن للأسف لم يكن لديها كاميرا لتشاركنا تلك اللحظات السعيدة.

#مهملات

(2)

عاد لتوه من روسيا، صاح بلهجة حماسية: احسب بالضبط ثمانى دقائق على ساعتك بين قطار المترو والقطار الذى يليه، فحمدت الله أنى- كأغلبية المصريين- ضعيفة فى الحساب.

#فرق__توقيت

(3)

تعاونا على الإثم والعدوان وإفساد البراءة، وأقبل الابن عليهما طائراً بنجاحه السلبى، فتهلل والده ومعلمه وسعدا بإنجازاتهما فى التربية والتعليم، وذهبت أرواحهم محرومة من حمرة الخجل لملاقاة روح طه حسين، لطمأنته بأن العلم لدينا بات- كالماء والهواء- ملوثاً.

#كالماء__والهواء

(4)

يوم مختلف بكل المقاييس العقلية، قرر والدها العودة بعد سفر طويل، كانت جالسة مترقبة، مجهدة، مشتتة الذهن، تائهة الفكر.
يد تحمل الهاتف، ويد تحمل الآى باد، عين على الكمبيوتر، وعين على التلفاز، دق الباب، نهضت بفتور غاضبة وكأنها قطعت دعاء ختم القرآن وهجرتها الملائكة، فتحت الباب وجدت والدها أمامها مبتسماً، فاتحاً ذراعيه وحضنه وقد سلا ما لقى فى سفره من نصب، عيناه تفيض من الدمع فرحاً، سقط الآى باد فجأة والذى سكن طرف المنضدة، نظرت خلفها حيث السقوط، جرت مسرعة، جلست على الأرض وفى يدها حطام العزيز باكية، ووالدها لا يزال واقفاً باسطًا ذراعيه فى دهشة، تمنت فى اللحظة ذاتها لو كان لديها إنسان آلى ليتولى مهمة فتح الباب نيابة عنها.

#إنسان__آلى

(5)

كذبت عينى حينما رأيته وقد جمعنا مكان واحد بعد كل هذه السنوات، بعد أن رفض اجتماعنا فى مكتبه- أكبر مكتب محاسبة فى الشرق الأوسط- كموظف مبتدأ، سخر من عكاز كان يعين إعاقتى على الحركة، وخبرتى المتواضعة كخريج جديد، كنت أراه أحيانا وهو يزور بيته القديم فى حارتنا، أتذكر تحيته لوالدي- صديقه القديم- من بعيد وبمبالاة منعدمة، ركضت خلفه فى السوبر ماركت وأمكننى عكازه من اللحاق به، سقط عكازه فسقطت خلفه وناولته إياه بابتسامة قلقة، لم يشكرنى ولم يتذكرنى، فتحققت من شائعات توهان العقل مع احتفاظه بكامل طباعه، حدق فى الفاتورة وبدأ فى عراك حاد مع الكاشير واتهامه ومديره بالجهل، وتصميمه أن خمسة عشرة فى خمس بعشرين، ولم يستطع أحد أن يثنيه عن اعتقاده، انسحبت بهدوء من المعركة الخاسرة وذهبت إلى معركتى الحقيقية حيث مكتبى؛ أكبر مكتب محاسبة فى الشرق الأوسط.

#قسمة__العدل

(6)

أحاطوا به كدائرة وعلى رءوسهم الطير، يستمعون إلى هجائه لولده فى تلذذ ونشوة:

يخرج مع أصدقائه كثيراً، يذاكر قليلاً، يعارضنى غالباً، ويطيعنى نادراً، لا يريد أن يصبح طبيباً كأبيه رغم إصرارى وإلحاحى، أعده عاقاً ويعد نفسه باراً.

ويصدقون على كلاماته بإيماءات إيجابية صامتة، فالوالد أعلم الناس بولده وهو من يعاشره، استأذن الولد فى الدخول على أبيه وصحبته وقال له هامساً: سأتوجه إلى جدتى فهذا يومى فى الجدول للمبيت معها فى المشفى. أومأ الأب إيجاباً مبتسماً وقبله، غادرهم الابن، وصاح الأب بنبرة دفاعية مرتدة: ولكنه طيب ورجل بمعنى الكلمة.

جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم، قتلوا صمتهم وصاحوا باستنكار: شهادة مجروحة، شهادة مجروحة.

نظر إليهم الأب فى دهشة صامتة.

#شهادة__مجروحة

(7)

صادفتها فى مهرجان للسينما، متوهجة، تشع بهاءً ورونقاً، كشمس تسقط فى بحر صافٍ، ترتدى فستانا غاية فى الجمال يطعم بلدًا بأكمله، تسير خلفها أمم أمم، يصفقون، يهتفون، تسرق بخفة الكاميرات ويتهافتون عليها لإجراء اللقاءات ، كدت أقترب لأثنى على....، على..... من المفترض على أعمالها، وبالرغم من قدومها لتسلم جائزة عن مجملها لكننى لم أتذكر لها ولوعملا، تراجعت، وكدت أقترب ثانية محاولة تذكر سبب شهرة بطلة الجرائد والمجلات والسوشيال ميديا واللقاءات التليفزيونية، تراجعت أخرى، ونقصت الهالة الكاذبة الملتفة حولها فرداً، فالضجيج لم يثمر عنه طحين، والأضواء صارت ضوضاء فى قلب الحقيقة، والكاميرا أشعت سحرًا وهاجًا خادعًا كخداع سحرة فرعون لقومه، تراجعت ولم أعد، وتابعتها من بعيد وهى تتسلم جائزتها- عن مجمل أعمالها- مخدوعة فرحة.

#خدعة

(8)

جميعهم نصحونى بحتمية الزواج رغم تجاربهم التقليدية البائسة، كنت أتعجب ولكن عجبى الحقيقى كان من صديقتى المتزوجة بعد قصة حب أسطورية وأعلم أن حبها لم يفر من الشباك بعد دخول الزواج من الباب، هى الوحيدة التى لم تنصحنى بالزواج قط، سألتها فى دهشة:

- لماذا لم تزينى الزواج فى عينى كما يفعلون وأنت الأجدر؟

قالت بثقة: لا يمكننى فعل ذلك معكِ وأنتِ صديقة عمري.

- لماذا؟

- الزواج قرار عقلى ولكن الحب رزق من الرحمن يهبه لمن يشاء، وأدعو الله لكِ بالحب سراً.

سألتها: بماذا تنصحيننى؟

ردت: مع الحب تذوب النصائح.

#زواج__تقليدي

(9)

أهداه معلمه كتاباً وهو دون السابعة، تناوله بيمينه، فضه فوجده فارغاً، صفحاته ناصعة البياض كالثلج، قال معلمه: هذا كتابك املأه بما تريد وكيفما تشاء واحذر أن يملأه غيرك، فتحاسب بجهلك على جهل غيرك.

#هذا_كتابك

(10)

وضع مسحور من قوم فرعون قدميه فوق بعضهما البعض وصاح بحماسة وثقة مردداً كالببغاء: لن يصلح حال بلادنا إلا عندما يكف سحرة فرعون عن سحر أعين الناس واسترهابهم، فهل يتولد أمل من الجهل والخوف؟ وهل يصلح العمل فى ظل الإرهاب؟!

(ثم قال بشك وقد وازى قدميه وضمهما): أو ربما نحتاج إلى خبير يبطل مفعول سحرهم.

فرد الحكيم :سيبطل المفعول تلقائياً عندما يكف المسحورون عن التأثر بسحره وسحرهم، فهم الأكبر عدداً.

#المسحور

(11)

اعتلى العاطل العاصى المنبر وقال متجبراً متكبراً: أى امرأة لم تتزوج ولم تنجب فهى معطلة عن رسالتها الحقيقية.

فأتى صوت يزعزعه لا يعرف مصدره وقال: راهبة تصلى لربها ليل نهار وتعمل بالزراعة، وعاقر تعطى دروساً لمحو أمية الجهلاء بالمجان، وعزباء لم يتمثل لها الحب فى شخص رجل ووجدته مع الكائنات الأليفة، فرفقت بالحيوان، أليست الرسالة الحقيقية فى الخلافة أيها المعطل؟!

وقف مذهولا مشدوهًا يبحث حوله كالمجنون عن مصدر الصوت.

#المعطل

(12)

وصل علاء إلى عمله متأخراً، ألقى التحية على زملائه، الذين يدفنون رءوسهم فى أجهزة الكمبيوتر، بكلمات متقطعة وأنفاس متلاحقة، لم يسمع ردودًا واضحة ولم يهتم، جلس إلى مكتبه، ضغط على مفتاح جهازه، أقبلت عليه زميلته عابسة، ابتسم، ذكرته بأن المدير ينتظر التقرير الأسبوعى خلال نصف ساعة من الآن، أومأ إيجابا ولا تزال الابتسامة تدارى توتره، حدق فى الجهاز وصرخ: إيه ده النت فاصل؟

انتبه إليه زملاؤه بلامبالاة صامتين، أومأ أحدهم إيجابا وهو يدفن رأسه فى جهازه، وقال بيأس: الكهرباء قاطعة من ساعة.

نظر حواليه حيث المكتب المضاء بالكاد بنور السماء، ثم نظر حيث اللمبات المنطفئة الحزينة، تنهد بعمق، وأخرج «اليو إس بى»، ثم انتبه إلى بطارية الجهاز التى أوشكت على الانتهاء.

وصرخ: لأاااااااااااااا، التقرير، التقرير.

رفع زملاؤه رءوسهم المدفونة بفتور، ناظرين إليه باستنكار، ثم خفضوها ثانية دون أن ينبسوا.

#رهين__المحبسين

(13)

مرت السنوات سريعاً ولكن دون ندم، رأيته من بعيد يقترب متحمساً، عانقنى بفرح وقال: ألا تتذكرنى صديقى القديم؟ ابتسمت فمثله لا ينسى، كنا فى الأربعين وكان هو متزوجا ولديه ابن وابنة وعمل مستقر، وكان يتباهى بإنجازاته فى الحياة التى تقترب إلى حد معايرتى، كأعزب وغير مستقر فى عمل، فى كثير من الأحيان، لم يضق صدرى يوما، فأمثاله لا يستحقون سوى الشفقة.

اقترب وقال بحماسة: أخيرا صديقى عثرت على أحد يتحدث العربية وعلاوة صديقى، يالها من معجزة فى أرض الفرنسيين!

ابتسمت بمكر وقلت: حمدا لله أنى لم أستمع لنصيحتك فى الماضى، بعدم جدوى تعلم لغة جديدة فى الأربعين.

لون الخجل وجهه بالأصفر، فاستأنفت: ما سبب الزيارة السعيدة؟

- أبحث عن عمل.

- فى الستين؟ تريد تغيير «كريرك» كمحاسب محترم وتبدأ رحلة الغربة بعيداً عن عائلتك؟ (سمعت صدى كلماته القديمة المماثلة لى تهزه من الداخل).

رد بأسى: غربتى بدأت من سنوات بضياع الأحلام والعائلة بعدما تركونى جميعهم وحيداً، فتتبعتك أبحث عنى، (صاح متحمسا مترجيا) ضاع العمر ولكن لا زلت شبابا.

- مطعمى كله تحت أمرك.

نظر حواليه حيث مطعم فاخر فى قلب العاصمة الفرنسية، دخلت ابنته فتاة حسناء فى السابعة عشرة من عمرها، قبلت أباها وحيت ضيفه بالفرنسية وغيرت ملابسها بملابس النادلة وبدأت عملها.

تساءل بمكر العارفين: هذا مطعمك؟

- نعم، وقلت فى نفسى (فى الأربعين كسبت لغة جديدة وعملا مستقرا وزوجة حنونًا وابنة جميلة وخسرت أنت كل الفرص وعلاوة نفسك).

#فرصة__فى__الأربعين

(14)

أكتب له فى اليوم عدة رسائل تحوى شكوى وشكرًا، أحلامًا ورجاء، لا يقوى أحد على فك شفرتها ولا يستطيع أحد أن يقرأ حروفها، لا أستخدم حبرا سريا ولا حتى ماء البصل ومع ذلك تظل سرية جداً بينى وبينه، لم يرد لى رسالة أبداً رغم تقصيرى الدائم معه، لا أعنون الرسائل ولا أكلف نفسى عناء إرسالها، ومع كلٍّ تصل.

يسمعنى ويرانى من حيث لا أراه، يعتنى بى، يراقبنى مراقبة حميدة لا تجرحنى ولا تضايقنى ولا تقيد حركتى، يشعر بفرحى وكآبتى أكثر منى، ويرضينى دائماً برسائله، والآن يقرأ هذه الرسالة، وانتظر الرد.

#رسائل__سرية

(15)

اختارت محبسها بنفسها، ودخلت القفص بإرادتها، وبدأت مأساة جديدة.

#محبس__وقفص

(16)

انتهى من فطوره فى نهار رمضان، وغسل فمه جيداً ليخفى آثار الخطيئة، وأقبل على تارك الصلاة وقال له: ألم تسمع أذان الظهر؟

ذهبا سويا كسالى بخطى متثاقلة إلى المسجد، صادفا فى طريقهما جارتهما الشابة بطلة جديدة دون غطاء رأسها، تغامزا وتبادلا نظرات الاستنكار، وأدارا مسلسل الهمز واللمز وبنهايته رموها بالكفر، ونسيا- فى طيات النميمة والمحاكمة الجائرة- أمر الصلاة والصيام.

#حجاب

(17)

ما أصعب أن تذكر حبيباً وتسبق الحديث بفعل «كان»، ترى أعينًا باكية من فرط صدقها، وقلوبًا أشد قسوة من الحجارة ساقتها فقط يد المجاملة ودعوى إثبات الحضور، وتسرح قليلاً فى مشهد مماثل أنت بطله والحضور يسبقونك بـ«كان»، تفزع وتنهض واقفا وتنصرف فجأة وسط دهشات مفهومة، لا تنكر المصير يقيناً ولكن دائماً تحسبه بعيدًا.

وتتساءل دائماً: ماذا بعد «كان»؟

#يقين__بعيد

(18)

سُئل الخبير العاطفى: تعدد العلاقات خبرة أم استهلاك عاطفى؟
رد: خبرة واستهلاك عاطفى وحظ عاثر.

#مستهلَك

(19)

قدموا إلى بعد طول غياب وانتظار وبدون دعوة، لم أستطع تخمين سبب الزيارة ولم أتعجب، جاء ولدى فى حسرة ووهن يحمل ولده – طفلاً دون الخامسة– بين ذراعيه ملفوفاً من أخمص قدميه حتى منبت رأسه، وأمه خلفهما فى غيبوبة متيقظة تشيعه بدموع الحسرة، ضحكت بأعلى صوتى، وتعجبت من حزنهم، ورحبت بحفيدى الصغير، أعلم أنكم لم تكونوا لتتحملوا دعاءه عليكم بالرحيل فى الكبر، فلا يوجد شعور أسوأ من الإحساس برغبة الآخرين فى توقف قطارك، كأنك حمولة زائدة فى عربة نقل خردة، فليرقد البريء بجوارى مطمئناً فهو فى كنف من هو أرحم الآن، ولن أحكى له عن خطاياكم، كفى تيقنكم الآن بأنكم جئتم شيئاً إداً إمرًا، فأبدلوا البكاء فرحاً وادعوا لأنفسكم بالرحمة.

#فقيد__ومفقود

(20)

رفعت هاتفها مطمئنة النفس مقدمًا لما سيقال، سألت الشيخ الجالس أمامها على الهواء فى التلفاز: خطيبة ابنى - يامولانا- أخبرته بعدم قدرتها على الإنجاب، فهل لنا أن نخفض قيمة مهرها؟

رد الشيخ: المرأة ليست وعاء للإنجاب، بل عليكم زيادة مهرها لأمانتها.

علا فجأة صوت الهاتف وقد أغلق، راح الشيخ ينادى فى الخلاء ويرتد إليه صدى صوته: ألو، سامعانى يا ستى، سامعانى؟!

#دين__الهوى

(21)

استيقظ من نومه فى السادسة كعادته على نفس الصوت المزعج صادراً من منبهه كجرس إنذار، هب من سريره واقفاً، بدل ملابسه فى دقائق وذهب للعمل مسرعاً كالبرق، انتظر الأتوبيس طويلاً، لاقى نفس زحام الطرق وعراك الراكبين، وصل إلى العمل وطلب مع زملائه نفس الفطور، وقام بنفس المهام الوظيفية التى يقوم بها كل يوم، وعاد للبيت، تناول الغداء وكعادته تعارك مع زوجته بسبب المال، وهدد أولاده من الاقتراب من غرفته ومحاولة إزعاجه ونام واستيقظ، شاهد الأخبار المكررة فى التلفاز ثم نام واستيقظ فى يومه التالى فى السادسة بالتمام، نظر فى النتيجة مصادفة فإذا به أتم عامه الستين اليوم، أغلق عينيه وحدث نفسه بأسى: أيوجد ما هو أسوأ من أن يفعل الإنسان الأشياء ذاتها التى يفعلها كل يوم كل يوم؟!

#كل__يوم

(22)

إنه هو، نعم هو، أعرف صوته المزعج جيداً ولكنى لا أستطيع التحرك لأخرسه وأغلق فمه، أشعر أننى فى غيبوبة روحية، فى عالم آخر تحت تأثير حلم جميل لا أظنه ينتهى بهذه السرعة وهذه السذاجة بسبب هذا الأحمق الذى يضطرنى للعودة لعالم تافه فقير للأحلام، يداى معطلتان تماما، فهل يعقل أن يتركا الحلم ويعودا لإسكاته؟! أحيانا أسكته لدقائق ليعيد إلحاحه على ثانية بالاستيقاظ، أتخلى مجبرة عن النوم اللذيذ وقد قطع بغبائه الحلم الرقيق وأجبرنى على العودة من العالم الخيالى الجميل، لا قبل لى باحتماله، وللصدق لا أتحمل فراقه، يوم إجازتى هو عيد لى وتعطيل له، فيا لروعة الإجازات عندها يستمر الحلم للنهاية!

قمة القهر والعذاب أن تترك قرار استيقاظك وانتهاء أحلامك التى لا تكرر حالتها لهذا الجاهل الضئيل المزعج، الذى تعنفه عادة وتعايره باسمه الغريب الشاذ «منبه» لا يستاء ولا يتوقف عن إزعاجه الذى يسميه بالكذب عملاً، فكيف للإزعاج أن تسميه عملاً، أخبرنى كيف؟!

#عالم_الأحلام

(23)

ها قد جاء موعد كلمته فى مؤتمر المرأة العالمى، قام المحامى الشهير والحقوقى اللامع من مجلسه فى مهابة ووقار، استدار لتحية الحضور الذى انهال عليه بالتصفيق، تركزت عيناه فى عينى سيدة شابة غاية فى الأناقة والثقة، راحت تصفق بنظرات حادة واثقة وببرود قاتل وبحركة بطيئة كمخرج متمرس أرادت ألا يمر عليه المشهد دون توقيفه وإثارة اهتمامه وتنبيه حواسه وزلزلة ثقته، تضاءل وذهب حيث يلقى كلمته وقدماه لا تقويان على حمله، وعرقه يتصبب أنهاراً، وجهه الأصفر يكاد يختفى تحت مظلة الخجل والتردد واللانسيان. فقد ينسى الرجل أى شيء وكل شيء، وأى إنسان، وربما البشر جميعهم بما فيهم هو، ولا ينسى مطلقاً امرأة رسمت له خطاً أحمر على حدود دولتها.

#خط__أحمر

(24)

التففنا حوله كدائرة فى اجتماع طارئ لدراسة الأوضاع الاستثنائية بالشركة، تنفس صاحب العمل بعمق وقال: عرض على العمل بالخارج وتصفية أعمالى هنا؛ كل شيء الشركة والمصنع، وأبعد عينيه عن الحضور وقال بأسى مخفى: فقد بلغت الخمسين ولم أحقق شيئا مما حلمت به .. ولكنى، لكنى.....

كانت العيون عالقة فى تلهف تنتظر سماع القرار.

واستأنف: ولكنى- ولا تهزأوا ولا تضحكوا- أريد أن أحقق أحلامى هنا فى بلدي.

انفجر الحضور ساخرا ضاحكا ونزلت دموعهم من شدة الضحك، انضممت إليهم رغم تطابق حلمى مع حلمه ولكنى لم أبح لهم بسرى وانضم إلينا صاحب العمل، تراجعت عن الضحك فجأة، وتجهمت ألما ولمته بنظراتى ولمت نفسى، أليس من الحماقة أن يضحك الإنسان على نفسه؟!

#ضحك__ حتى__ البكاء

(25)

- كم أتلهف لرؤية فستانى الجديد! قالت الجملة وصديقتها منهمكة فى محادثة على الإنترنت، ردت دون النظر إليها:

- قلت لك الأفضل أن تشتريه من المحل وكنت ستقتلين هذه اللهفة التى لا أرى لها داعى الآن.

- ولماذا نكلف أنفسنا عناء الحركة وملل التسوق ونحن فى زمن الإنترنت؟ يعنى الثقة والراحة والسرعة.

- تقصدين الكسل، أوقات ننخدع بجمال الفستان خلف الفاترينا فما بالك خلف شاشة، متى سيأتون به؟

قالت بشوق المحبين: أمامهم نصف ساعة، وغيرت نبرتها فجأة وسألتها بحدة ودهشة: ماذا تفعلين؟ ألا زلت تحدثين ذلك الشاب؟

- نعم.

- وماذا بعد؟

- الزواج حتما.

- كيف تثقين بشاب لم تريه ولو لمرة فى حياتك؟ (قالت بتهكم) حب أون لاين ومشاعر إلكترونية! ننخدع بالأشخاص وهم أمامنا

لحما ودما فكيف بحروف فوق شاشة؟!

ردت بثقة: الإنترنت يعنى الثقة والراحة والسرعة.

- تقصدين الكسل! ومتى سيأتى بسلامته؟

دق الباب فتحت صاحبة الفستان بشوق، فردت الفستان فإذا به شيء أحمق ساقه القدر إليهما، قطعة من القماش ليس لها معالم واضحة، صرخت فى وجه عميل شركة الشحن، أخبرها بأسف أنها لا تستطيع إعادته فمسئوليته انتهت هنا، اعتذر ومضى، وتوالت صرخاتها.

أغلقت صديقتها الباب ثم أغلقت الشات فى وجه صديقها معلنة النهاية، توجهت لصديقتها بود وأمسكت بالفستان وقالت مبتسمة:

- كل شى سيكون على مايرام لا يزال لدينا وقت لإصلاحه.

#أون__لاين

(26)

ظل الصراع دائراً بعقله يكاد يقتله؛ أأبعث إليه برسالة، أم سيتضجر من الإلحاح؟ وإذا لم أبعث سيقول إنى لا أبالى، سأبعث فهذا عملى ويجب أن أباشره، لا لن أبعث حتى لا أتهم بكثرة السؤال، بل سأبعث فلاعيب فى السؤال عن مسيرة العمل، هل اللا أخبار دائما ترادف عدم وجود أخبار سيئة؟ ماذا على أن أفعل؟ أأنتظر وأرى أم أسأل وأطمئن؟ .. وربما لا أطمئن.

وسقط بالنهاية صريع الانتظار والمجهول.

#الانتظار__والمجهول

(27)

كان فى انتظار تنفيذ الحكم بالإعدام، اقترب منه الشيخ وقال بهدوء ووقار: اسأل الله الغفران.

قال: بل اسألوا الله الغفران لأنفسكم، فقد يغفر الله كل الذنوب إلا حق العباد.

قال الشيخ: ألا ترى فى قتل نفس أية حرمة؟

- لم أفعل، وليس ضد من فعل ذلك بنفس فاسدة.

- إذن فلتذهب نفسك، ومع كل لك أمنية أخيرة.

تنفس بعمق وقال بطمأنينة: أريد رؤية الدنيا من العالم الآخر ربما أتمكن من فهمها وقتها أستطيع القصاص.

#قصاص

(28)

جلس أمامه فى هيبة شديدة، وأخذ لقاء العمل يحتد، اعتدل مدير المقابلة فى جلسته وسأله خارج المنهج المعد والمعروف لمقابلات العمل:

- ما هو الشيء الذى يستحيل مع حدوثه أن تستمر فى العمل معنا؟

قال بحماسة: لا شيء.

رد بدهشة : لا شيء؟ لا شيء؟!

صمت المتقدم، واستأنف المحاور: أتدرى ما هى مواصفات الموظف المثالى؟

رد بثقة: طاعة مديره فى أى شيء.

- فى أى شيء؟!

- فى أى شيء.

- وماذا عن الذل والإهانة؟

رد ورأسه تقبل الأرض: الحاجة تسقطها.

- وإسقاط الإنسانية؟!

رد دون أن يرفع وجهه: الأيام كفيلة بطيها.

أخذ المحاور بيده بعض المال وبعثره على الأرض وقال له: قبلت، مبروك! وهذا مرتب أول شهر مقدما.

فرح وجرى وحشاً يلملم المال.

قال له صاحب العمل مبتسماً وهو منهمك فى تجميع المال المبعثر: أتدري؟ هذا رزقك كتب لك.

قال وهو لا يكاد يصدق نفسه من شدة الفرح: الحمد لله، الحمد لله.

- أعطيتك أياه كما أحببت أخذه.

نظر إليه نظرة يعلوها علامة استفهام كبيرة.

- كان يمكننى أن أرسله بالبنك مثلا أو أعطيك إياه فى ظرف شيك.

رد بانهزام وهو ينظر للمال فى يديه: هكذا أفضل، وكل فضل ونعمة.

سأله: لملمته كله؟

فرد وهو يحتضنه: أظن ذلك.

قال له: أعطنى إياه!

تعجب من تصرفه وأعطاه كل المال الذى جمعه.

قال صاحب العمل وهو يرفع المال أمام عينيه: رزقك قد كتب

وستأخذه مهاناً أو مكرماً، أيهما تفضل؟

تنهد ووضع وجهه فى الأرض ثانية.

قال صاحب العمل: لم تقل لى بعد ما هى مواصفات الموظف المثالى؟

هم بالانصراف وتمتم.

- انصرافه فى الوقت المناسب.

#كما__أحببت__أخذه

(29)

تبذل من نفسها وطاقتها مجهودا مضاعفا لإخفاء علامات حبه عن العيون، إذا ذكرته فى نفسها ارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة صافية وكأنه مستقر أمامها، يفسرها الآخرون أنهما يتواعدان.

وإذا ذكروه أمامها تتجهم وتتظاهر بالانشغال بأشياء أخرى، يفسرها الآخرون أنه ليس فى بالها.

وها هو قد حضر أمامها فلم تأت البسمة إلى شفتيها، ولم يطاوعها قلبها على الانشغال بغيره، ولم تهتم بالآخرين.

#منارة__قلبية

(30)

وقفت أمامه كمسمار، كادت تفجر رأسها من كثرة التفكير، لماذا لم تأت من سنين؟ لماذا أتيت متأخراً؟ لماذا لم أعثر عليك قبل هذا التاريخ ونحن فى كوكب واحد، تضمنا نفس الأرض المغطاة بالبؤس والكآبة؟ هل تؤمن بأن فارس الأحلام لا يصلح إلا بطلا للروايات، والحب لا يكون إلا بطلا للأفلام السينمائية، وأن النصفين المتوافقين المتكافئين ليس لهما أن يلتقيا إلا بعد فوات الأوان، وربما لا يلتقيان، وأن الألم هو ما سيجمعهما وليس الحب؟!

أم أنك لا تريد أن تغير فكرة الناس عن الكوكب الكئيب الذى أنهكته الصراعات والمصالح؟ أليس الحب بقادر على تبديل هذا الوجه العابس؟ أليس إيجاد نصفك الذى خلقت من أجله وخلق من أجلك كفيلا بأن يهون عليك الحياة الشاقة ويلونها؟! أم يعجبك هذا المشهد السخيف المتكرر وأنت تقف أمام ابنى الأصغر، تقول له مداعبا: ما شاء الله! ألك من العمر

ست سنوات؟ تقترب من طولى، ثم تسرح حزيناً وتنظر فى عينى لتراجع معى عين أفكارى البائسة، وأبتسم سعيدة، أخيرا جمعتنا أشياء مشتركة.. الألم واليأس والندم، فلا ميزة لنا إذن عن باقى سكان الأرض.

#النصف__الضائع

(31)

هام بطول الأرض وعرضها، من مشارقها لمغاربها، كفت يداه عن العمل، فصارتا مضاهيتين للحرير، بحث دهراً عن فلسفة للحياة، فلم يُضفْ لها ولم يعشها، وأضاع عمراً ليضفى على السعادة مفهوما، فلم يُضفِ لها مفهوماً ولم يذقها.

#الأيدي__الناعمة

(32)

مرت عليه السنوات العجاف بطيئة مملة، اليوم بثلاث ليال أو ربما خمس، ومرت الليالى القمرية الجميلة غفوة أو حلمًا قصيرًا، أتم قصته لنهايتها من ألفها إلى يائها، لم نشعر به، ولا نتذكر كثيرا من قصته، كنا صغارا وكبرنا فجأة، وأخذتنا الدوامة وكثرة القصص وحزن دفين مصادره،غالبا، مجهولة، والحلو والمر فى النهاية ساويا سوياً مقدار حلم قصير.

#حلم__قصير

(33)

شكا الفتى للشيخ معاناته مع الكسل، كلما هم بالخروج مع أصحابه أصابه النعاس ولم يقو حتى على رفع يده، كأن حجرًا استقر فوق جسده، سأله الشيخ: كيف بصحبتك؟

أبعد عينيه عن الشيخ وراح يفكر، قال الشيخ: لا تبعد هذا الكسل، فليس كل الكسل من عمل الشيطان.

#عمل__الرحمن

(34)

ابتسم وقال لها مغازلاً: أنتِ مثل السكر.
قالت برقة: فى حلاوته؟
قال: فى ندرته.

#زي__السكر

(35)

نظر إليها طويلا وهى معلقة على الحائط كمحكوم بالإعدام، اثنان وعشرون عاما من ربيع عمره دفعها ثمن هذه الورقة، ورقة يطلقون عليها زورا وبهتانا «شهادة» وماهى إلا شهادة زور، فهل الصفقة رابحة؟

ضحك بصوت عال وقال فى نفسه: من المفترض أن تكون هذه أجمل سنوات حياتى كسابقتها بالضبط، من المفترض، هكذا يدعون، كيف يقبل الإنسان على العمل وليس لديه رغبة فيه ولا فى شيء؟! من يعيد السنوات؟ من يوقظ إبداعًا مات ودفن داخل معتقلات يسمونها مدارس وجامعات؟ من يقود الإرادة وقد سلا القيادة أو ربما لم يتعلمها؟ الزمن لا يرجع للخلف ولا يتقدم بميت، فمن يعيد أجمل سنوات العمر ويداوى جراحها ؟!

#الورقة__الكبيرة

(36)

عاشت رهينة انتظار مغامرة تذوق فى ظلالها الحب كبطلات الروايات والأفلام السينمائية، أضناها الانتظار وتردد الروح لخوض مغامرة، ولكن أليس الحب مغامرة فى ذاته؟!

#مغامرة

(37)

قال للحكيم: أريد أن أكون مثالياً.
قال الحكيم: لا تخطئ أبداً.
قال: كل ابن آدم خطاء.
قال الحكيم: لا تغضب مطلقاً.
قال: الغضب سلوك بشرى طبيعى.
قال الحكيم: أحبَّ جميع الناس.
قال: القلوب بيد بارئها.
قال الحكيم: لماذا تتطلع إلى المثالية؟
قال: لأنال احترام الناس.
قال الحكيم: وهل ينال احترام الناس سجين متصنع؟!

#إنسان

(38)

برد قارس يترجم غضب السماء فتطل بسحبها العكرة، الرؤية شبه منعدمة، تمام السادسة كل يوم إلا يوماً واحدا يعتقون فيه، ينتشرون فى الشوارع بأزياء متشابهة تقبض القلوب، ظهور منحنية تقبل الأرض، تغطيها حقائب كبيرة تكاد تخفى أجسادهم النحيلة المنكمشة من البرد، أعينهم الناعسة الحزينة تحيى بداخلى معاناتى القديمة، وتجسد مشهدا مصورا بحرفية للحمير والأسفار، لا يقوى لسانى على حمد الله من الخلاص، أشعر مع هذا بخيانة لهم، ومع ذلك أهنئ نفسى مع بداية كل عام دراسى جديد بسلامة خروجى من المعتقل.

كل يوم أقرر أن أخبرهم الحقيقة وأتراجع وأحتار فى أمرى، شيء ما بداخلى يصرخ: هل سيتغير الوضع أم سيبلغون الثلاثين وأقدامهم لم تطأ بعد أولى خطوات الحلم؟

#الخروج__من__المعتقل

(39)

صاحت فى وجه ابنتها غاضبة: وما نهاية هذا الحب؟
قالت البنت بهدوء وثقة: موت الحب.
صمتت الأم وهدأت ثورتها.

#نهاية__الحب

(40)

مر صاحب عربة الروبابيكيا، لم توقفه استغاثاته ونداءاته المتكررة كلما مر أمام بيته، فهو على يقين تام بأن زبونه باع كل ما لديه من فترة طويلة، ليس لديه شيء يملكه الآن ولا حتى الأربع حيطان.

صاح بأعلى صوته متوسلاً لبائع الروبابيكيا، اقترب من العربة وأراد أن يتخذ مسكناً بجوار الروبابيكيا، نهره صاحب العربة وأنزله من فوقها رغماً عنه، فليس لدى عملائه موهبة إعادة تدوير بنى آدم.

#روبابيكيا

(41)

نجت من القصف بمعجزة، ورماد الدمار لا يزال أثره فى وجهها الطفولى البريء، صادفها فى طريقه بعدما ضاقت به الأرض، ما هو إلا نسخة كربونية منه تلازمه كل يوم دون انقطاع، تحيطه التفاهات، ووظيفة حمقاء فى شركة كبرى وممتلكات سخيفة باهظة الثمن، يأكل، ينام، يعمل، لا جديد ولا مغامرة، اقتربت منه بائعة المناديل مبتسمة، تعجب من ابتسامتها وقال باستنكار: هل ذقتِ الملل من قبل؟

همست فى أذنه: جئتك من تحت القصف لاجئة لرب العالمين، فقدت كل عائلتى، ويدى اليسرى (وكشفت عن ذراعها المبتورة)، الملل رفاهية كبيرة لا يذوقها إلا من يعيش حياة سهلة لا معاناة فيها، كم أنت فى نعمة، تعيش وتمل!

ثم تركته ومضت.

#نعمة__الملل

(42)

انفض الجميع من حولها إلا هو، صدقوا الظلم وروجوا الأضاليل ورددوا الأكاذيب فصدقها جميع البشر، وانقلبت الكذبة حقيقة وحكمت المحكمة، وقفت شامخة ثابتة الأقدام أمام منصة الإعدام التى نَصبوها لها، تصيح بأعلى صوتها: متى تنفيذ الحكم؟ متى؟

انتظرته وكأنها تحاول إطفاء نارها بالغاز، كان الانتظار الخائب للإنصاف وإحقاق الحق وارتداء الظالم ثوب العدالة معصوبة العينين، حضر أخيراً وعيناه تنطق بالظلم والشك، انهارت فجأة وكادت تسقط على الأرض، ولكنها تماسكت وقالت: الظلم شعور سيئ ولكن لله حكمة، وقد ظهرت.

استخفت بالإعدام ولم تستخف بالموت.

صاحت: متى تنفيذ الحكم الظالم لأذهب للعدل سريعا؟ لماذا كل هذا الانتظار؟ لماذا؟ أليس سفها أن تأمُل العدل فى مدينة الباطل؟!

#مدينة_الباطل

(43)

فسد العسل بنهاية شهره الأول، قفلا من رحلة الأحلام المدهشة والمغامرة المثيرة وبدآ رحلة الملل والكبت، ورغماً عنهما لم يستطيعا الانفصال ولم يتمتعا بالاستمرار كممثلين محترفين.

#غرباء__فى__زنزانة__واحدة

(44)

بات يترك هاتفه فى أى مكان ويسلاه، بعد أن كانا كتوءم ملتصق، كل جديد له زهوته، وقد مر عليه حوالى عام من تاريخ عرسه، زهده كما زهد عروسه، ولما ضاع بحث عنه كثيراً متألماً فلم يجده فى أى مكان، لم ترده ندءات ولا استجاب لتوسلات، فقد معه الذكريات المؤنسة لوحدته والحاضر المهم والمستقبل الآمن، بحث عن حضن زوجته فلمس فيه القهر والضياع.

#ضياع

(45)

سألت الله - حبيبى- الحب، أوهمونى بعدم وجوده رغم وجود الله، أعطيتهم أذنى وفوقهما عقلى، أفسدوا واقعى بواقعهم الجاف، ولوثوا خيالى بانعدام خيالهم.

#مادام__الله

(46)

سئلت: ما مواصفات فتى أحلامك؟
قالت بسخرية: انتظروا سأحضر لكم الكتالوج من فوق الدولاب.

#كتالوج

(47)

وأخيراً استطعت تجميعكم أحبتى، كم مرة تواعدنا واختلفنا فأخلفنا الوعود والأمل، لم أتخيل أن أرى عمرى هذه اللحظة، عاجزة عن مسح دموعكم بيدى رغم أن حزنكم يغمرنى، لا أستطيع أن أرتد ثانية لأواسيكم ولتلقوا بألمكم بين أحضانى كما كنتم تفعلون، ولكن حضنى لا يزال دافئاً، تظنون تجمعكم هذا بعد فوات الأوان وأظنه فرصة سعيدة جدا للقاء، لحظة خيالية هائلة لتذوق طعم الحب، أوان ممارسته معكم قد فات والاستمتاع به - بما يكفى وكما يجب- قد مات فى واقع أكثر جموداً من الصخور، وأشد جفافا من بحر خاصمه الماء كبحر موسى فصار واليابسة سواء، وتيقنت يومها أنى أنا والفراق صرنا شئيا واحدا.

#ولا__عزاء

(48)

أخافوه من جهنم ونارها وعذابها، فأحرق الخوف بداخله الحب والضمير والحياة، وصار يخشى أى شيء وكل شيء والناس جميعهم وأى سلطة ما عدا الله.

#نار__الخوف

(49)

سقط فى بئر الحيرة والضياع، أيسير خلفهم معصوبًا أم يتنحى ويفكر قليلا؟ أحيانا يرى أنه مخطئ فى تقييم بعض الأمور التى يجمعون عليها فى واقعهم الجامد الجاف، ولكن أليس الخروج عن القطيع هو أبعد ما يكون عن الخطأ والضياع؟! أليس الخيال، ولو كان وهمًا حزينًا، أكثر رحابة من واقعهم هذا؟!

أقلقه قلة الشبه بينه وبينهم، وسيره بالتوازى بجوار نفورهم، والاغتراب الذى يأكل جسده الضائع النحيل ويهدد روحه، وكان قراره المصيرى بالسير الدائم وراءهم بلا ريب يرهق رأسه، ولا جدال يتعب ذهنه، ولكنه سقط مرة أخرى فى بئر الحيرة والضياع متسائلاً: لماذا كثير من الخطأ فى رحاب الجماعة صواب دائما أبداً وبالإجماع؟!

#بالإجماع

(50)

قالت له حبيبته: أحبك أكثر.

سألها: وما دليك؟

قالت بغضب وثقة: إحساسي.

قال: وكيف نتأكد؟

صمتت حبيبته.

***

قال له معارضه بحدة: أنا أكثر منك وطنية.

قال: ومن أين عرفت؟

قال: مواقفى.

قال: لمعظم الناس مواقف.

قال بتردد: المواقف الصادقة تختلف.

قال: وكيف نتأكد؟

صمت معارضه.

***

قال له شيخه: أنا أكثر منك تدينا.

سأله: ومن منا سيدخل الجنة؟

رد: الله وعد عباده الأتقياء بها.

قال: هل اشتغالك بالدين يفتح لك أبواب الجنة؟

قال بتردد: ربما.

قال: وكيف نتأكد؟

صمت شيخه.

#محلها__القلب

(51)

أتيت إلى والدى وردة صغيرة تحتضن عيناها الحب، والذنب الحلال قد تملكنى وصرت أكبر عاصية قبل بلوغ سن الحساب، كنت فى ربكة من أمرى لا أدرى لماذا أو كيف ولا أين، ولا أقوى على كف دقات قلبى وأنفاسى المتلاحقة، لمست فى أعينهم عنف القلوب الذى يجتمع والخطيئة.

ألقيت بقلبى فى نهر الحب، وحرقت مشاعرى وحسمت أمرى للأبد، قطعت أرحامى ومزقت عواطفى، ومحوت من معجمى كلمة حب، لاموا جفافى فى شيخوختهم، وعابوا برودى الذى بذروه فى فؤادى، اعتذرت إليهم، فالعاصى قد تاب على يديهم قبل هذا الزمان بزمان.

#شيخوخة

(52)

كلما قابل الحب فى طريقه مصادفة قذفه الوهم بعيداً عن أراضيه، لم تنته له قصة سوى بجرح ومعاناة، نصحه الأطباء بالسفر لتغيير مناخ عاطفته، حسده الناس لغناه ورفاهته، وقلة معاناته، فما المعاناة إذا لم يكن مقدمتها دائما فقر الجيوب؟

أخفى وجهه الحزين وألمه الدفين وتولى عنهم، أهمهم حاله مع تدهور حالة قلبه وأحسوا معاناة الأحبة وفقر الحب، فما استطاعوا رؤية معاناتهم بالعين المجردة بجوار معاناته.

#الغنى__الفقير

(53)

قال لوالده نصحنا معلمنا أن نقرأ نزار قبانى، فعلا وجه الأب الوجوم، أخرج ورقة من جيبه وقال هذه دوواينه التى نصحنا المعلم بقراءتها: «قالت لى السمراء»، «طفولة نهد» و..... ، ارتبك الأب ونظر لابنته التى تنصت بشغف للحوار وقال محاولاً إقصاءها عن ساحة الفجور: قومى يا ناهد يا بنتى اعملى لى كوباية شاي.

#المزدوج

(54)

نظر المتشائم للمتفائل باستنكار وسأله: ما سر تفاؤلك؟!
رد المتفائل باستنكار: وما سر تشاؤمك؟!
رد المتشائم: وما سر تفاؤلك؟!
رد المتفائل: وما سر تشاؤمك؟!
واستمرا هكذا طويلاً.

السر

(55)

دخلت بيتها تحمل بطاقتها الانتخابية عائدة من انتخابات البرلمان، ساقتها والدتها للصالون، ناولتها صينية الشاى والجاتوه، لم تمد لها يديها، لم تتزين ولم تتعطر كما أمرتها، دخلت على الضيوف ورائحة غبار التحرر تسير أمامها، نظرت للغريب نظرة طويلة فى زمن يسير، ضحكت، تعجب الجميع، استدارت ورجعت مرة أخرى وأشهرت لهم البطاقة وقالت: صار لدى حق الاختيار.

#اختيار

(56)

راح يشدو أمام زملائه بعذوبة وفصاحة، لا تحريف ولا تصحيف والدموع تدابع عينيه البريئتين:

هجوت محمداً فأجبت عنه .. وعند الله فى ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفء .. فشركما لخيركما الفداء

دخل معلمه فجأة ونهره لعدم الامتثال لأوامره بالكف عن قول الشعر والجنون وذكره بآيات الذكر الحكيم: «والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون».

فاستكمل دون أن ينظر لمعلمه:

هجوت مباركاً برا حنيفاً .. أمين الله شيمته الوفاء

فمن يهجو رسول الله منكم .. ويمدحه وينصره سواء

قال معلمه بصوت خافت وبخزى «عليه الصلاة والسلام»، قال الولد: «والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون»، ونظر لمعلمه وقال: «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا

وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون».
ثم رفع صوته وقال:
ألهونا عن اللب
فانشغلنا بالقشور
جعلوا الكتاب عضين
وشتتوا نور الصدور
عبدوا هواهم، ضلوا وضللوا
حقنوا العقول بالقصور
رضوا بدور المقتسمين
وقربوا للدين حب النفور
غرتهم دنيا المصالح
وتجاهلوا ظلمات القبور
نسوا جزاء الاجتزاء
وولوا وجوههم شطر الفجور
فمن يوقظ من السبات أرواحاً
عجزت عن ضم الكسور؟!
صفق زملاؤه بحرارة وانصرف المعلم شارداً.

#جزاء__المقتسمين

(57)

نزل الميدان يهتف بأعلى صوته «يسقط حكم المصلحة»، أليس لنا شيء طاهر هنا نحيا له وعليه؟! رماد البيزنس يطفئ نقاء وجودة الأشياء، هل لى أن أرى يوماً بعض المشاعر النقية فى ميدان المصالح ولو من باب الاختلاف، أليست بضدها تتميز الأشياء؟!

#ميدان__المصالح

(58)

حينما أتاها فى الوقت المناسب لم تكن هى الشخص المناسب، وعندما التقيا بعد عمر فى المكان المناسب لم يعد هو ذاته الشخص المناسب.

#المناسب

(59)

تحت سماء سوداء بعيدة قضت حياتها حادثة تلو حادثة، بلا هدنة ولا فواصل، من هروب من مصير لوقوع فى السعير، تتسلمها أياد سوداء، من يد ليد، من يد أب ليد أخ ليد زوج ليد حانوتى، لم تشعر بالحنان الذى لمسته بين ذراعى ذلك الحانوتى طوال حياتها.

#أياد__بيضاء

(60)

أزعج السماء بالنشاز والعبث، لم ينفضوا من حوله كما فعلت العنادل والعصافير وحتى الكواسر، بل للعجب كانوا يزدادون يومًا عن يوم، يهتفون، يهللون، والنشاز يشوه وجه الجمال بزيادة عددهم ولا يعبأون، والذوق الرفيع فى حيرة من أمره، تائه بينهم، وسؤاله الدائم الحزين الذى لا يعلو شفتيه، هل يجوز إقصاء شيء بتهمة الجمال؟!

كان صاحبنا إذا فرح يبحث فى الخفاء عن صوت عذب يأخذه للسماء السابعة بعيدا عن أعين جمهوره وزملائه من زعماء النشاز، عندما عشق آنسته الأصوات الرقيقة، وعندما جرح واسته الأصوات النقية، وظل الذوق الرفيع رفيقه فى الخفاء.

#خيانة

(61)

صادفته، لم أصدق قلبى، بالضبط كما انتظرت، مثلما رسمت ومثلما خططت، مطابقا تماماً للحلم، اعتذرت له عن عدم تصديقى يوما لخروجه من محبسه المؤبد فى خيالى، وعن تأخر موعد الإفراج عنه، فبادر بالاعتذار قائلاً: واجب الاعتذار لى نيابة عن خيالى الذى عجز عن تصورك قبل لقائنا هذا.

#اعتذار

(62)

أحبته، وجدت من هو بحجم أحلامها وقدر طموحاتها وعلى مستوى جنونها، هنئ بعشق كاتبة، عشق تختلف فيه الكلمات والحروف والحب وممارساته، حسده كل الرجال وتمنوا منزلته، ورسمته كل الفتيات فارساً لأحلامهن.

خانها، فتضاءل فى عين الحب، واستحال بخيالها مسخًا، وبكلماتها وأحرفها كالمسيح الدجال، سحبت منه حصانه ولقب الفارس، انتشر كرهها له كعدوى فى قلوب كل البشر رجالاً ونساءً وأطفالاً وشيوخًا.

#أحببت_كاتبة

(63)

سوق مكتظة بالكتاب، كما يدعون ويدعونهم، أشكال وألوان، بلا طعم ولا رائحة، أصوات عالية، وأقلام عارية وكلمات بلا معان، تصاحبها احتفاءات وأغان، والطفل يبكى من الحيرة؛ أهذه أعمال جميلة؟ كيف يحتفون بأقلام رخيصة ويتركون الأقلام النبيلة؟ ربت كتفه كاتب بائس مغمور من مدينة النبلاء أشهر له قلمه وكلماته وهربا سويا من السوق للمجهول ربما يجدان فيه جمهورًا، فالزحام اشتد والضوضاء، وسؤال دائر فى السوق بلا حاجة للجواب: أشرب الماء أسهل أم تأليف كتاب؟!

#سوق

(64)

كانت جالسة كملكة على العرش، تصدر فرامانات بلا نقاش ولا رجعة، راحت السيدة أم العريس تتحدث بثقة تضاهى جلستها: سأشترى لها ما تريد وترغب، شبكتها من الألماس وجهازها من إيطاليا ومسكنها فيلا فى الرحاب، مهرها من مائة ألف إلى مليون، كان العريس يؤمئ إيجابا مصدقا على كلمات والدته دون أن ينبس.

ووالدا العروس ينصتان بسعادة طفل أحضروا له علبة شيكولاتة.

قاطعتها العروس قائلة: مهرى أغلى.

تعجب الحضور.

قالت: نعم مهرى أغلى، مهر الكاتبة ورقة وقلم، يحميهما وقت مقدس للكتابة، وتحرسهما عين حب ساهرة لا تغيب.

#مهر_كاتبة

(65)

صعدت السطوح لأراقب الميدان من بعيد، المعظم يسيرعكس الطريق، لا تلحظ سيارتين تسيران خلف بعضهما على خط مستقيم ، اللاقانون يحكم الطريق، وقد لا تقوى على رؤية طريق من الأساس، وأكثر ما أثار دهشتى فرحة سائق ونشوته وهو يتسلل بين السيارات كلص وسط صوت عراك وسباب وكلاكسات مزعجة لا أعلم الهدف منها ولا نتيجة سوى محاولة جادة ومسعى حثيث لقتل الهدوء الجميل، لا يعبأ بإشارات مرور ولا مارة، فقط مروره على جثث السيارات هو المهم والأهم، وفرحة وراء فرحة مع كل خرق، نسيت الطريق وإشارات المرور والمارة والسيارات الخارقة والدخان الذى أعمى عينى وسد صدرى وأذنى المعطلين عن العمل وفرحتى بهروبى بعض الوقت من ميدان المعركة، وتساءلت سؤالاً سيطول إلى يوم القيامة: ما سر السعادة التى تغمر إنسانا يخرق القانون كالطفل المخرب الذى لا يبالى بالعقاب؟! وما تركيبة هذا الإنسان؟! أتتملكه الجرأة أم الجنون أم الرغبة فى الانتقام؟!

#سعادة__بالعكس

(66)

لقيها مصادفة، مد يده بشوق فلمس الثلج فى يدها والنار فى قلبها، سألها: كيف حالك؟

احتارت فى أمرها وعجزت عن الرد، سؤال بسيط، يُسأل فى اليوم عشرات المرات، وعادة ما نجيب عنه إجابة آلية محفوظة، ولكنه يستحيل فى مدينة الأحزان سؤالا مؤلمًا بلا جواب.

تسللت يداها برفق من بين يديه ورحلت فى صمت.

#سؤال__بلا__جواب

(67)

كتب على صفحته على الفيس بوك: "ها قد حانت لحظة الوداع، كنت أتمنى وداعكم ولكن القدر لم يمهلنى والرغبة أعاقتنى، ادعوا لى من أعماقكم".

ذهب لخالقه فى موعد حدده بنفسه وتوقع مكانه فى السعير، ولكن شوق الموعد غلب وحشة المكان كالعاشق التعب ذهب بلا عقل يرتوى ويرجو الرحمة ممن يحب، هرب من مدينة الكره، تسعة عشر عاما كانت كافية للحقد عليها والضجر منها.

ترك خلفه الشك ينبض فى قلب اليقين، هل هو أقوى أم من قرر الاستمرار فى مدينة الكره والشقاء، أليس الاستمرار فى حرب مدينة الكره هو عين الانتحار الذى يتفجر من نبع الشجاعة؟!

#انتحار

(68)

تركونى وتركوا مواعيد العمل الرسمية، وذهبوا زرافات ووحدانًا لميدان الحرية، ينادون بالحرية، يهتفون للحرية، يتحدثون باسم الحرية، أمضوا دفاتر الحضور ومضوا، لم يتموا عملهم ولم ينل ذوو الأيادى المعطلة حريتهم بتركهم ميدانها الحقيقى.

#ميدان__الحرية

(69)

قضيت عمر الكاتبة، نصفه باحثة عن حرف جديد ونصفه عاكفة على فكرة مبتكرة، ودقائق معدودة تبتسم لى النجاحات، وأعود لدوامة الأدب، لا أرتوى منها نصفى الخيالى، ولا أشبع فيها نصفى الواقعى.

#نصفى__المفقود

(70)

خلع ثوب الوقار والجدية، ومعه رسالته ومبادئه، وراح يدشن فيديوهات تافهة على اليوتيوب كى يرفع صوته، فشل فشلا ذريعا مخزياً فى عصر التفاهات، احتار من التناقض الغريب واهتدى لسؤال أهل الذكر، فرموه بالجهل ونصحوه بتعلم فنون التفاهة قبل تسجيل فيديوهاته القادمة.

#أهل__التفاهة

(71)

دخلت معملى لإجراء تجربة جديدة، كان معى كل أدواتى؛ ورقة وقلم، وعواطفى تركتها كالعادة خارج المعمل، أنهيت العمل وخرج للنور ووجد الحالة نفسه بطل العمل، سألنى بعينين مصدومتين معاتباً: أهذا كان الهدف؟ رددت بعينى: كلنا أهداف فى حياة بعضنا البعض وقدرك الأبيض ساقك فى طريق كاتبة.

#طريق__كاتبة

(72)

أكتم ضحكاتى وهو يتحدث بكلمات تبدو محفوظة لا تخرج عن نص مكتوب، وبحركات آلية مكررة، أستطيع التنبؤ بما سيقول مسبقاً بالحركة التى تصحبه وتوازيه، أحاول الهروب بروحى من هذا العالم الكئيب، من رائحة الشحم والزيت فى ملابسه التى جعلتها كالمسمار لا يتحرك قماشها مع نسمات الهواء، ومن الضباب الناتج من دخان المصنع الذى يغطى جسده ككفن أسود والذى يحجب الحب عن الوصول لقلبى وقلبه.

أحاول الهروب من أجواء المدينة الكئيبة لجو نقى مليء بالبشر، بعيداً عن آلات المصنع، ولكن شئياً لا أعلمه عرقلنى وعاقنى، شعرت وكأننى بدأت أصير جزءاً أصيلاً من المصنع وآلاته .

#المصنع

(73)

كان أكثر ما يقبض قلوبنا خطاب رسمى يخبرنا بميعاد الاجتماع الشهرى مع مدير الشركة، جلسات عابسة، جدية هزلية، خطب المدير البالية وارتجاله كشاعر ضعيف فى سوق عكاظ، لامبالاته وسط الكارثة، وعبوسنا رغم ضحكاته وضحكات حاشيته على نكاته المستهلكة، وإذا أردت أن أحول وجهى صادفت نفس ضحكته السخيفة غير المبررة فى صورة بعرض الحائط، معايرته الدائمة لنا بصغر السن وقلة الخبرة وغرق الشركة بأيدينا، وتحججه الدائم بانشغاله وإلا كانت الشركة عروسًا على حد قوله، وقرارته التى لا تقبل الرجعة لقصر نظرنا وعدم إدراك الخير البعيد كزوج يصبر زوجته على حياة لا معالم لها وأن الطلاق أبغض الحلال وأن الوضع سيتحسن حتى بلا مقدمات أو مجهود إضافى، الحديث عن إنجازاته وبطولاته ساعتين متواصلتين، وأين الإخفاقات؟ ليس لها نصيب سوى فى ضمائرنا الخبيثة وخيالنا المريض؟ نقلب فى الأوراق والبيانات كالمجانين، والنفاق والكذب يحرق قلوبنا ويزيد إرهاق

عقولنا وعبوس وجوهنا، وقول «لا» عالق فى حلوقنا. رجاله يصفقون، يضحكون على نكاته، ينفض المجلس ويعاود والكل على وضعه، الكل ذو أحلام بعرض السماء لا ترى أرضها مطراً، وهل يؤرق الإنسان شيء أكثر من الاستقرار المتوهم واللاتغيير؟
ولايزال الشيخ يدعو لمدير الشركة بطول العمر على المنبر، وما زلنا غير قادرين على اتخاذ القرار بمغادرة الشركة.

#الشركة

(74)

- قالت لها والدتها: تأخرتِ، ألا تخشين أن يفوتك القطار والرحلة؟
- قالت بثقة: لا أظن.
- ألا ترين خطأ فى حساباتك؟
- فى حساباتى وحساباتك قد يكون ولكن يقيناً لكل أجل كتاب.

#لكل__أجل__كتاب

(75)

ملأ وجهه الشاشة، وراح المذيع يتحدث عن بطولاته فى الخير ويحكى مآثره فى التكافل الاجتماعى ويحث المشاهدين على التبرع فى أروع مشاهده التمثيلية، أخذت المتصلين الحماسة وأصابهم عدوى التوجيه بتكرار دعوة: ربنا يكثر من أمثالك.

ويرد هو عليهم بابتسامات خجولة مزيفة كالذئاب وبلمعة عيون التماسيح، وكل الاستديو فى شتات وجنون يضربون كفاً بكف، وصوت قوى حائر مكتوم ممزوج بالخيانة يتردد بداخلهم: أتنتظرون خرابا أكثر لبلادنا؟! متى تكفون عن دعواتكم بكثرة الذئاب بيننا؟! ألا ترون نتائج دعواتكم حية وعلى الملأ وملء الهواء؟!

#هو_وأمثاله

(76)

ودعت أحبة، ودعت أصدقاء، صار الحزن صديقى الدائم، رغم أنى لم أتمرن عليه بعد، وحين ودعته كان أصعب وداع، ودعته قبل أن ألتقى بحلمى، قبل أن أستقر بأرضى، قبل أن أجد هويتى، قبل أن يكتمل حبى، وتاه الرد عن سؤال: شبابك فيما أبليته؟ لم يمهلنى الوقت الطائر لإعداد الجواب، ولا أستطيع رد شبابى للوراء لتجميله أو ملاحقة أحلامى وحبى، ولا أستطيع أن أؤجل آخرتى لأمنع نفسى عن الإحراج وقت السؤال.

#ودعت__شبابى

(77)

ذهبت للتقديم للعمل متحمسة، جلست فى انتظار دورى، لاحظت موظفين يرتديان الرمادى البائس، قلت فى نفسى لربما صدفة، دققت النظر، لاحظت أن التشابه بين جميع الموظفين يقترب اقتراباً مخيفا من التطابق، وكل مقبول يخرج وفى يده اليونيفورم المكرر وكأنها ملابس السجن المؤبد، لا حرية ولا اختيار ولا تغيير ولا يجوز لك السأم ولا الضجر، متشابهون تماماً لا فرق حتى فى قيدهم، رجعت بالذاكرة عندما كنا فى المدرسة، كنا هكذا نبدو كنسخ مكررة، فلماذا يصرون أن نبقى نسخاً، لماذا؟ ألم نكبر بعد؟

لملمت نفسى وأوراقى ومضيت بلا يونيفورم.

#يونيفورم

(78)

تقضى معظم أوقاتها، وأحياناً يومها بأكمله، غارقة فى الفيس بوك، وهو كذلك، وهم كذلك، وآخرون وآخرون، ومارك ودولابه الرمادى يهنآن بالعمل.

#مارك__ وآخرون

(79)

لفت انتباهى تمرده على الأوضاع المائلة، وثورته على الأحداث المؤلمة، كان حينما يتحدث البطل صاحب القضية أنصت بكل جوارحى وحواسى، وحين ينتهى من كلماته وينتظر الرد لا أنتبه لدوري إلا عندما ينبهنى هو، فيردنى من غيبوبتى المحبوبة إلى الواقع، أتحدث قليلا وأسأل كثيراً وأستمع لإجاباته بحماس يعادل حماسه الثوري.

كف عن تمرده وثورته ولم تكف الأوضاع عن معاندتنا، ولم تكف الأحداث عن تمزيق قلوبنا، اكتفى بكرسى واكتفيت منه.

#الخائن__والمتمردة

(80)

كم هى كاذبة جملة «سأكون بالموعد إن شاء الله» فى قاهرتنا! دائماً لا يشاء الله له أن يأتى، وحينما شاء الله أتى بعد فوات الميعاد، خسر وقته وخسرنى.

#الخاسر

(81)

أفاق من غيبوبته مصدوماً، وجد نصف جسده غائباً، تلفت حوله حيث رائحة «البنج» والأدوية وتذكر بذاكرة ميتة دخول عربة النقل فى لحمه، ابتلعت المفترسة- بشهادة الشمس- سيارته وزوجته وابنه وساقيه وأحلامه وباقى أيامه القادمة، دفنوا نصف جسده مع قلبه فى التراب، وخلفوه ذكرى كخنجر فى لحم المفترسة ثقيلة الظل، وعشيقها اللاشرعى التائه المغيب، وفى لحم كل من أفسح لهما طريق الحرام ومهد لهما السير فيه.

وصارهو أثقل وزناً وأطول قامة ولكن بقلب ميت وبمستقبل بلا أيام.

#ثقيل__الظل

(82)

رفضها ومضى، وفى رواية أخرى رفضته ومضت، التقى المرفوضان، تحابا، تزوجا، وسطرا قصة حب أسطورية كانت للعشق دليلاً للعالمين وأولهم من رفضهم.

#مرفوض

(83)

ذهب بعينيه المتعبتين لطبيب العيون، أخبره أنه لا يعانى شيئاً وهذه الأعراض ما هى إلا حالة نفسية، ذهب لطبيب القلب وهو لا يقوى على ملاحقة أنفاسه ولا إغماض عينيه المتعبتين من ألم قلبه، أخبره الطبيب أن قلبه سليم ونصحه باستشارة طبيب نفسى، ذهب إلى طبيب الأسنان بأسنان لم يتبق منها سوى أثر لطعام السوس وبيوته، فنصحه الطبيب بالاستشارة النفسية فأسنانه المتآكلة سلمية لا تعانى شيئاً، ذهب لعيادة نفسية وحكى للطبيب رحلته مع المرض، فنصحه الطبيب بالمكوث فى المصحة النفسية لمدة شهر لتلقى العلاج، سأل الطبيب: مما أعانى؟ قال الطبيب: تصديق الناس وتكذيب عينيك وعقلك.

#عيادة__نفسية

(84)

أبحث عن نظارة القراءة وأنا أقرأ من ساعتين بمعاونتها، أبحث عن مفاتيحى ونصفها فى يدى ونصفها فى كالون الباب، أبحث عن معطفى ومظلتى وهما صديقا اليوم تحت المطر، أبحث عنك وأنت بجوارى الآن على سريرنا وأنفاسك تحرسنى أينما ذهبت، أبحث عن ذاتى وهى لا تفارقنى حتى فى أحلامى، كلهم بجوارى صديق والوحدة أصدقهم، أليس الاغتراب عن الذات هو وجه الوحدة العجوز المجعد فى مرآة شبابى؟!

#وحدة

(85)

سيبكى الأحبة على قبرى ويطلبون من المولى إعادتى فى مشهد يشبه مشهد أهل النار يوم القيامة، يصطرخون: ربنا أخرجها نعمل لها عملاً صالحا غير الذى كنا نعمل، ولن يأتيهم رد، فقد فقدوا سلاحهم فى معركة الحب والتقدير، ففقدت حماسى على العمل وفقدت باقى عمري.

ستقدرون أعمالى بعد وفاتى، ستعطون الجوائز والتكريمات لورثة الكاتبة، وسيشعرون بفخر باهت منقوص تسبقه الدموع والحسرة، لن تتألموا لذلك أعلم، لكنم تستحقون منى الشكر سلفاً-على أية حال- على احتفاءكم واهتمامكم، وتقبلوا اعتذارى عن عدم الحضور.

#شكراً_مقدماً

(86)

سأل قارئ بدهشة: أإسلام كاتبة؟
رددت: ألم يكن إحسان عبد القدوس كاتباً وأمل دنقل شاعراً وغيرهم وغيرهم.

#الكاتبة__إسلام

(87)

تساءلوا بدهشة: لماذا لم تزورى قبر أبيك قط؟

قلت: كيف يقصد الإنسان عنواناً وهو غير متيقن من أن صاحبه يقطنه؟!

#خطأ__فى__العنوان

(88)

تحت سماء ضبابية، مجهول يسلم مجهولًا، كل فى ملكوته كجزيرة تبحث عن شطها، تفكر فى مستقرها ومستودعها، ولكن كل منهم مع ذلك، وبشكل يعجز العلم عن تفسيره، مشغول بمصير الآخر الحتمى وبقدره المرسوم، يهزأ هذا بالجنة بخمرها وعسلها ولبنها ويستخف هذا بالملكوت، كانا لا يلتقيان فى مكان إلا ويسبقهما إليه الشقاق والشيطان، جمعتهما أخيرا مساوئ الصدف ومكان أسود هادئ هدوء القبور، فرقهما نور اليقين وشمس الحق، وجمعتهما جلسات الظلام واللاحساب بعيداً عن روح الله واليقين بوجوده، ويتفقان الآن أن النار لم ولن تكن مثوى لهما.

#النار__مثوى__لهم

(89)

يقضى يومه بين حالتى اللانوم واللايقظة، لا ينتج ولا يحلم، وبين اللاحياة واللاموت ينتظر شيئاً ما كنتيجة الثانوية العامة أو نتيجة الانتخابات الرئاسية الأمريكية، يكتم أنفاسه لا منتحرا بل منتظرا شيئا لا يعرفه، شيء مادى ولكن لن يراه يوما بعينيه، يحارب أحيانا فى عصر انتهت فيه الحروب العالمية، يحارب فى سبيل شيء لا يؤمن به، وربما يخسر يوما روحه الاستهلاكية المستهلكة سدى من أجله.

#حرب__روحية

(90)

ينتهى عامى بترقية وعلاوة وثناء على استحياء من صاحب الشركة، التى يتوازى بنهاية العام اسمها واسمه مع السماء السابعة، وأنا لى ترقية وعلاوة وثناء على استحياء.

الإنجاز شعور رائع، مثل الوردة البيضاء المزهرة، إحساس تتوق له الروح ليعطيها الحياة والرغبة فى الاستمرار كاحتياج الجسد للماء، ولكن هل بناء بيت غير بيتك يسعد روحك؟ هل رؤية حلمك واقع آخر يرضيها ويهدئ عطشها، هل الوقت متوفر وفائض للعبث به وتضييعه فى نقش أحلامنا على جدران غيرنا؟!

#بانٍ__فى__غيرِ__ملكه

(91)

سألت صديقتها الكاتبة: ما هو جديدك، نريد أن نفرح؟

قالت بحماسة: عاكفة على عمل جديد وسأعنونه «على_وضعنا».

قالت لها باستنكار: لم أقصد ذلك.

أجابت الكاتبة بمكر مبتسمة: أعرف مقصدك وأعرف مقصدي.... لم أسمع مبروك.

قالت بعدم اقتناع: مبروك على أى حال.

ردت الكاتبة بثقة مبتسمة: مبروك على أعظم حال.

#كتابى_الثالث

(92)

يعانى من ضيق وقته، وجدوله مليء تكاد تنسكب مواعيده وأعماله منه على الأرض، ويتعب قلبه فى الركض خلفه، ويعانى من سعته وقت الفراغ بل ويطيره فى الهواء كبالونات ملونة، ووقت الانتظار يطول هذا القصير المكير بطول نهر النيل.

وفى النهاية جلس ودفتر حساباته بين يديه، يحسب ما ضاق وما اتسع، ويقيد ما انتظره وما تعجله، وهل كان يستحق الجرى وقطع الأنفاس؟! فوجد مجموعهم يقرب إلى ثانيتين، وظلت معظم الحسابات استفهامات مفتوحة بلا أجوبة.

#استفهامات

(93)

سيق الذين لا يعلمون إلى جهنم زمراً، متيقنين أن من سيعود منها يحتاج معجزة إلهية، فمتى تفرج الجحيم عن حطبها بعد أن تبتلعه؟

قاتل حتى أنفاسه الأخيرة وتساقط زملاؤه أمام عينيه كعرائس البولينج، كماريونيت قطعت خيوطها وانتهى دورها فى مسرح العرائس والأقدار، فمنذ أن ولدوا وهم فى عداد الموتى هكذا حكم الساسة والجنرالات، الموت كان هو الدور المقدر لهم لعبه فى الحياة.

لفظته الجحيم هو وقلة، لا يعلم لحسن حظه أو لسوئه، وعاد من الأرض الآمنة المطمئنة بعد أن حولوها هو والعرائس إلى مقبرة كبيرة مصبوغة بالحمرة، وغاب صوان العزاء فى المدينة الحمراء، عاد البطل المجهول الهش لأرضه معززاً مكرماً، استقبلوه بالورود والأوسمة، عاد لأحضان العالم الكئيب، لاستئناف معركة الحياة، ولا تزال تتجاذبه الأقدار من معركة لمعركة، لا يدرى من أجل ماذا يذهب؟ ولا يعود من أجل ماذا؟

#مسرح__العرائس

(94)

توجه بالسؤال للحالم المتحمس، الذى وهب حياته لحلمه:
- ما الذى يمكن أن تفعله كى تصل لحلمك؟
أجاب بحماسة: أى شيء.
- وما الذى يمكن أن تخسره لتكسب حلمك؟
- أى شيء.
- مستعد أن تذهب إلى أين كى تحقق حلمك؟
أجاب متحمساً: إلى أبعد مكان، وإن كان جهنم.
سأله: ومستعد تذهب إلى أين بعد تحقيق الحلم؟
صمت شارداً.

#جنهم

(95)

تسترقان النظر وتتهامسان متخفيتين خلف عباءات سوداء، فى عربة السيدات الساحرة الملئية بالنميمة الحلال وحرية استراق النظر، غض البصر فيها حرام شرعاَ، والأحاديث الجانبية عن الأخريات هى الحلال بعينه، استرقت السيدتان النظر من جميع الراكبات وتحدثتا عنهن جميعا بلا استثناء لواحدة بنقد غير موضوعى فى الملبس وفى طريقة الكلام وفى الجلسة وفى الهمسة، وتحول المشهد وكأننا فى حضرة خبراء أزياء وموضة وإتيكيت، وجاء الدور على، استرقتا النظر منى ووصل إلى همسهن، قالت إحداهن للأخرى: انظرى، أليس هذا البنطال مخصصًا للبيت؟ ساق القدر إلى نمهن رغم المسافة غير القريبة والزحام، حاولت لفت انتباههن من بعيد لم تنتبها بسبب انشغالهن بجميع الراكبات عدا أطفالهن، اقتربت منهن قليلا وقلت: ليس هذا، نظرتا إلى بدهشة ممزوجة بالخجل، استأنفت متأملة باستمتاع وجوهًا صارت والخشب سواء من الخجل: ليس هذا المخصص للبيت،

هذا مخصص للخروج، نزل عليهن سهم الله ولحسن حظى وحظ المترو ولسوء حظهن لم ينشق المترو ليبتلعهن، لفظهن كغذاء مسمم، نزلت منتصرة مخلفة ورائى ضحايا منهزمات فى عربة السيدات.

#عربة__السيدات

(96)

على شاطئ البحر، لمست السماء بيدى ورأيت الشمس وهى تضحك لى، والأمواج تجرى متلاحقة مداعبة بعضها البعض، فاجأنى بحفلة عيد ميلادى داخل لوحة من الطبيعة، حضر الكل، كانوا بجوارى وليسوا بجوارى، كانوا يضعون عدسة كحائط خرسانى بينى وبينهم، إذا رأيتهم حسبتهم سائحين أو مصورين محترفين، كفت الشمس عن الضحك، وهدأت الأمواج كالموتى، اقترب منى يقبلنى ويدفعنى لأحضانه ولكن حالت بيننا العدسة، حملنا معنا صورًا بلا ذكريات وتركنا اللوحة البديعة خلفنا واللحظة التى لا تكرر، كانت الصور أوفر منا حظاً، فقد سعدت بكثرة الإعجاب والتعليقات التى تدعو لنا بطول العمر ودوام الحب، وتساءلت فى نفسى ضاحكة باكية وللمعلقين الغافلين: كيف لمن يرى دنياه خلف عدسة أن يمارس الحب على الطبيعة؟!

#على__الطبيعة

(97)

جلست بجوار جثته شاردة تتساءل، هل قتله كان كافياً؟ هل التمثيل بجسده كاف؟ هل تقطيعه إرباً كاف؟ كانت مطمئنة تماماً لعدالة السماء وقدرتها على تجميع قطعه المتناثرة يوم الحساب لتثأر منه، ولولا ذلك لما فعلت ما فعلت، وكانت مطمئنة لحنكة رجال البوليس فأول من يشتبهون فيه فى جرائم القتل هى زوج القتيل أو زوج القتيلة فجلست هادئة بانتظارهم، فأخيراً ستجد ملاذاً آخر تكتشف فيه نفسها سوى المطبخ والسرير.

وتيقن والداها بما لا يدع مجالاً للشك أن الزواج لا يحتاج الحب ولا المشاعر فى شيء، ولا حتى القبول ولا التوافق ولا الآدمية، وأن الزواج سترة للفتاة كما يدعون، فقد وفر القتيل -السادى الثري- للفتاة السكن الشرعى والجنس الشرعى، يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام، فماذا ينقصها كى تقدم ابنتهم الجاحدة لأنعم الله على هذه الجريمة الشنعاء؟! ماذا ينقصها سوى التربية والحياء؟!

#زواج__غير__شرعى

(98)

أردت أن أرحم جلدى وأفر به قبل أن ينضج ويسقط فى مؤسسة الفساد، لكنى ترددت، هل أترك المؤسسة للفاسدين كى ينمو سمهم فى جسدها وتهلك؟ أم أنى أستطيع بمفردى أن أبطل مفعول السم؟ أعلنت للجميع: ما أريد أن أخالفكم، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، ومع الوقت تعلمت حسبة داخل المؤسسة: أن واحدا على الجميع يساوى صفرًا، انتقل سمهم لدمى بالعشرة، دخلت القطيع وتقدمت فى السلك القطيعى إلى أن صرت فى مقدمته.

#مشروع__فاسد

(99)

فى لعبة الحلم تتوالى المحاولات، ينتقل فيها اللاعب من مستوى إلى مستوى، من مرحلة لمرحلة، يكسب أشياء ويخسر أشياء، فاللعبة ممتعة ومليئة بالمفاجئات ولكنها خطرة وتحتاج مخاطرة، يفقد اللاعب بعضا من روحه، من الأصعب فالأصعب إلى أن يصل إلى المستوى الأصعب والأخير وهو ملاقاة الوحش، يقتله ويحقق مرامه، أو يستسلم قبل ملاقاة الوحش وقد يجهز الوحش على آخر روح له، ولكن اللعبة - وهى من أصعب اللعبات- غير مبرمجة على عدد معين من المحاولات، وليس للفشل ولا للنجاح «سكور» محدد مسبقاً، ورغم صعوبة اللعبة فالفرح والمتعة متوفران فيها، وهى تعتمد على طول نفس اللاعب وشجاعته فى مبارزة الوحش وعدم الفرار، وأنا كلاعب أقف كثيرا وقت اللعب وسط الإجهاد الشديد واستهلاك الروح وأسأل نفسى: كم محاولة نحتاجها فى لعبة الحلم قبل أن نصل لمرحلة اليأس؟!

#لعبة__الحلم

(100)

لا أدرى كيف طاوعه قلبه أن يسلم رأس ماله لطبيب، بعد أن قص عليه أن البومة نعقت فى بيته ليلة أمس وأمه قلقة وزوجته وأولاده ولم يستطع أن يثنيهم عن الفكرة مطلقاً.

تمدد على سرير أمامه دون علمهم وأخذ يلعب الطبيب فى مخه بحرية، دخل ليخرج شيئاً زائداً عن الحاجة، تاركا الأفكار والمبادئ والمعتقدات دون مساس، كانت تلمع أمامه لتميز نفسها عن الشيء الخبيث، مكث فى مخ الكاتب والمفكر ساعات وساعات، كان معجباً بالنزهة ولم يشعر بمرور الوقت رغم العمل الشاق، خرج منتصراً وفى يديه الشيء الخبيث عديم الفائدة، الشيء الميكروسكوبى مقارنة بالإيجابيات والأشياء العظيمة التى لمسها بالداخل.

كان يقول الكاتب والمفكر ساخراً إن مخه ربما كبر من كثرة التفكير، أو ربما من كثرة «تكبير الدماغ»، فالامبالاة قد تقود لخسائر مجهولة، وبعد أن أفاق الكاتب نظر للطبيب وقال له مداعباً: الآن أستطيع أن أجزم بأن أصعب عمل فى الدنيا هو التجول فى مخ كاتب ومفكر.

رد الطبيب مبتسماً: بل الأصعب هو استئصال فكرة خاطئة من المخ.

نظر الكاتب لزوجته مبتسماً وهى ترتدى سلسلة على وجه بومة -لأول مرة- كان قد أهداها لها فى عيد زواجهما الماضى.

#بومة

(101)

كان مهوساً بكل ما هو جديد ومختلف، يسير خلف الموضة أينما سارت، كأنها فتاة جميلة يريد خطب ودها، يتتبع خطاها، حتى إن ضلت يذهب فى طريق الضلال معها ومع مريديها، يغير لون شعره وتسريحته من أجلها، يقطع بنطاله من أجلها، يغنى بلا صوت، يمثل بلا موهبة ولا أداء، يفعل كل شيء من أجلها وهو عليه هين.

ولكن كانت الطامة الكبرى حينما قرر الاقتراب من الألغام، طرق باباً يجهل ما وراءه ولا يملك مفتاحه، دخل مكاناً طاهراً ودنسه بحذائه، فى مدينة الموضة حيث كتابة الرواية وقراءتها أصبحتا غذاءً أساسياً لساكنها، قرر إنتاج الغذاء وهو لا يملك قوته وليس لديه المكونات ولا الإمكانات، طبخ شيئاً مكوناً من أوراق صفراء مالحة كماء البحر وتوابل حارة من الابتذال والإيحاءات والشذوذ الفكرى، ضمه بغلاف وأسماه رواية، دوى صداها فى مدينة الموضة وأشبعت جوعها، ورواية خلف رواية، لقبوه بالروائى ولقبوا مريديه بالقراء.

#مدينة__الموضة

(102)

كنت عندما أحزن أو أهتم تبتسم أمى وتقول: أبى قد مات، ولا شيء بعده يهم.

كنت أرى ابتسامتها ولا أدرك، وبعد وفاة أبى، أدركت، فالرؤية ليست كافية لكى تدرك، وأصبح الحزن على أى شيء -كالرؤية بلا إدراك- لا شيء.

وعادت أمى تبستم للحزن وتقول: أبى مات وزوجى مات، ولا شيء بعدهما يهم.

#مات__أبى

(103)

رمقته بنظرة نارية تطاير شظاها من فمها مع سؤالها: هل تخوننى؟
رد وعيناه تصارع محاولة الهروب من النار: نعم.
هبت من مقعدها، وهزت الكون بقبضة يدها التى كادت تكسر الطاولة فتاتا، وقالت غاضبة: تعترف بهذه البساطة؟!
قال بهدوء وخزي: تريدين أن أكذب؟ أنا لا أحب الكذب.
لملمت ما تبقى من أعصابها وقواها العقلية والنفسية ولاذت بالفرار.

#مبدأ

(104)

أعد قائمة سوداء بأسماء حصب جنهم متطوعا وساعياً غير مشكور، كل ثانية يضيف اسما جديدا وأسماء وأسماء، وكل يوم تزداد القائمة بشكل مهول ومخيف ويزداد معها الحقد والفرقة والشقاق والتعالى، يحرق أوراقاً وأوراقاً، ولم يضف اسماً واحدا فى القائمة البيضاء ولم يعدها من الأساس، فلماذا يعدها ولن يضع فيها سوى اسما واحدا فقط، يحفظه عن ظهر قلب؟ فكيف للإنسان أن ينسى اسمه؟ ولكن كيف للإنسان أن يعرف مصير غيره أو حتى مصيره بعد الحياة وهو يجهله طوال حياته؟!

تنبه فجأة وهو على فراش الموت أنه انشغل بإعداد القائمة عن إعداد نفسه والتهيؤ لاستقبال المجهول، ووجد نفسه غير واع على رأس القائمة السوداء ولم يمهله الوقت لشطب اسمه.

#سعى__غير__مشكور

(105)

لم أعلم بالضبط ما الذى دفعنى إلى الإقدام على هذه الخطوة المجنونة، إلقاء نفسك فى عرض البحر وأنت لا تجيد السباحة ليس مغامرة أو مخاطرة ولكنه انتحار محقق، رغم أنى لا أحب الحياة ولا أعشقها ولكنى أرى أن الانتحار أقل شجاعة من تحمل معاناتها، وسؤالى العتابى وأنا أقاوم وأبعد أنفاسى عن الماء: هل كان على تعلم السباحة قبل نزول البحر أم أننى مرغمة على تعلمها الآن كى أنجو من ابتلاع البحر لى؟! ما زلت أتساءل وما زلت أعافر كى أحتضن الشط وأصل لبر الأمان.

#عرض__البحر

(106)

تمر الأيام ونلتقى ثانية، التغيير حقيقة لا يمكن تغييرها، نضع لبعضنا أثناء اللقاء صورتين من الخيال والذاكرة مكتوبًا عليهما قبل وبعد، ولا يهم إذا كان قبل هو الأسوأ أم بعد، فالتغيير يقع كثيراً رغم إرادتنا ووعينا، ولكننا حينما التقينا بعد مرور الزمن نظر لى ورأيت فى عينيه ابتهاجًا وهو يتجول ما بين صورتى قبل وبعد، ولكن خيالى فشل فى وضع صورتين له متقابلتين أمام عينى، وضع صورة واحدة مؤلمة لم أدر ماذا أكتب أسفلها، خجلت أن أكتب الجملة المؤلمة: مثل ما كنت لم تتغير. ربما يساعدنى التغيير يوماً لو قدر له أن يتذكره.

#قبل__وبعد

(107)

التقيت وصديقة عمرى وقد خاننا العمر وفى ووجها علامات الإجهاد والحب، قلق وحيرة وشوق وحزن، سألتها متحمسة:

- أحببتِ؟

ردت بهدوء بائس: لا، بل تزوجت.

جمعت حزنى وحزنها فى حقيبة سفرى وقررت الرحيل ثانية.

#رحيل

(108)

استيقظت يوماً على كابوس الحياة، غلبة اللون الأحمر على الأبيض، حزن الحمامات وبكاء العصافير، اكتئاب العنادل وكسل الفراشات، جفاف الأنهار والبحار وانطفاء وجه الشمس، كانت لدى رغبة قاتلة فى تمزيق كل دفاترى، وفى كسر سن قلمى كعادة القاضى عند النطق بحكم الإعدام، كتبت وأكتب، وكتبوا ويكتبون، ووجه العالم لماذا يزداد قبحاً مع جميل الكلمات والمخلوقات وحتى مع توافر المساحيق وتطورعمليات التجميل ؟!

#حيرة

(109)

نهوى الضحك على أنفسنا، والهواية صارت احترافًا، فى مدينتنا حيث مزيج من الجنة والنار، العذاب والنعيم، الدفء والبرد، لن تراها تسير أبدا على خط مستقيم، فهى مطبوعة على الانحراف وتعكير مزاجنا، ونحن نستمتع بإثارتها رغم الألم، فالتغيير مفيد وإن كان مؤلماً.

على باب مدينتنا مدينة الأحزان تجد عادة مواعيد الزيارة الرسمية للفرح وغير مسموح له مخالفة المواعيد، وترانا نقول- بعيون ذابلة وقلوب كاذبة احترفت الكذب- للحزن حين يزورنا بلا موعد مسبق، الحزن الذى نهايته مكتوبة على حدود نهاية العالم:

«ربنا يجعلها آخر الأحزان» ولكن كيف للحزن أن يكف عن زيارة مدينته؟!

#مدينة_الأحزان

(110)

تداولوا قصتى بعد وفاتى، لم تكن من تأليفى ولم أسجلها ولم أتوقع هذه النهاية السعيدة:

- ولدت وماتت دون حلمها.

#قصة__حياتى

(111)

بالرغم من الزحام الشديد فى محطة المترو آخر النهار إلا أن المكان كان فارغا لحكمة ما، كنت وحدى أسير على الرصيف خلفها وفجأة خطفتنى من حالة شرود معتادة، تنبهت وفى يدها خمسون جنيهاً كانت قد تناولتها من الأرض لتوها تشير بها إلى سيدة تسير أمامها، شكرتها بحرارة وهى فى حالة ما بين الوعى واللاوعى، سرنا فى اتجاهات مختلفة وصورتها لا تزال مطبوعة فى خيالى، وفجأة وأنا أصعد السلم طبعت صورة أخرى، شاب يحمل بدون استئذان كيسًا ثقيلًا من البلاستيك كانت تحمله سيدة فوق رأسها لم أسمع بعدها أحدا، كل الأصوات تلاشت أمام صوت السيدة الذى علا بسيل من الدعوات لطالب الجامعة الذى يحمل حقيبة ظهر مملؤة بالكتب، لاقته قريبته وتعجبت من الكيس الأسود الممتلئ الذى يحمله وهو يخبرها أنه عائد من الجامعة لتوه، كانت متعجبة بشدة وكنت معجبة بشدة، ونظرت للسماء وشعرت أن كل أبوابها مفتوحة على المكان، نزلت إلى الشارع من رحلة العودة الخيالية فى المترو التى طمأنتنى

بعض الشيء ببقاء بعض الإنسان بداخلنا، لقيته بالجلباب وهو يسير بجوار شاب صغير، كانت أذنى الشاب فى يديه ولم أهضم مطلقاً فكرة محاضرة وعظ على الطريق، وفجأة علا صوت المؤذن بميعاد الإقامة، فهرول الرجل ونبه الشاب بضرورة الإسراع، ولم أدر لماذا لم يشأ لهذه الصورة أن تطبع بداخلى كسابقتيها؟

#صور

(112)

فكرت كثيراً وكثيراً قبل أن أتخذ قرار الانسحاب، تلك اللحظة الفاصلة بين قرار استمرار الحياة بوضعها القاتل والموت غير الشريف أو الفرار الشريف، هذا القرار الأصعب، والاختيار ما بين الأمرّين، فإما تنسحب وإما تفضل البقاء وأنت تعلم أنك ستموت ولن تحقق أى شرف أو بطولة مع هذا الموت، فأى شرف تلقاه حينما تفتح صدرك للعدو وتقول له هيا أطلق الرصاص واقتلنى، فأنا فاقد للعدة والعتاد ولم أعد لك ما استطعت من قوة، فهذه ليست بطولة بل هو الانتحار فى أسخف صوره.

انسحبت تاركا أرضى وأرض المعركة وحزنى دفين عميق ولكن الناس لهم الظاهر فقط، فهل يوجد حدث أشد وقعاً على الوجدان من الغربة؟! ولكن هذا لم يعقنى عن العمل والإعداد حتى أعود قوياً مستعداً للمعارك واحدة تلو الأخرى، تحاملت على وجدانى وقلبى ومشاعرى، وعدت بعدتى كاملة، ولكننى اتهمت بانسحابى السابق وعايرونى به وطعنت فى شرفى ووطنيتى، ودعونى الخائن العميل،

وتساءلت: لو لم انسحب وقتلت وقتها كان لا بد من استبدال الغبى الجاهل بلقب الخائن؟ ولو كتبت لى السلامة والخروج من النار لكنت فى صفوف الجائعين الجهلة المغيبين القانعين على أية حال، والراضين بتهمتى الملفقة وينامون الليل بضمائر مستريحة.

انسحبت ثانية مرغما حزيناً كما فى المرة الأولى وتركت أرض المعركة بلا محاربين، ولم أذق طعم البطولة ولا الشرف ولا حب أهلى لا وقت فراغ العدة ولا وقت اكتمالها، ولكن الحزن هذه المرة كان أشد.

#انسحاب__إجبارى

(113)

ضحكت فى سرى، حينما نظر إلى الطبيب وقال بلهجة تأنيبية قاسية: تحتاج راحة، ولكنه لم يصف لى الدواء بالضبط، كيف أصم أذنى وأفقأ عينى وأعطل إحساسى وأوقف فكرى عن العمل وأمنع نفسى عن الخروج، وأنسحب عن كل من حولى وكل ما حولى، ولكنى اجتهدت وحاولت الاعتماد على عقلى كطالب ثانوية عامة قرر الاعتماد على كتب الوزارة دون الكتب الخارجية ولا الدروس الخصوصية، بعدت عن التلفاز وفصلت الإنترنت وأغلقت الهاتف وافتقدنى كثيرا بائع الجرائد، احتضننى سريرى، ونمت طويلا تجاورنى الراحة القلقة.

استيقظت فوجدت بجوارى تلالا من الفواتير المتأخرة، نزلت الشارع فلم أتعرف عليه بسهولة وكأنه صديق غاب زمناً وعاد من سفر طويل، وجهه العابس التائه وملابسه الممزقة وحقيبته الفارغة وبقايا روحه يقصون حكايات أسطورية مفزعة، وصلت للعمل

فوجدت جبالا من الأعمال المؤجلة، وفوجئت بصديقى المقرب - وأنا غارق فى راحتى الدائرية المغلقة- وقد اختار الراحة الأبدية أو اختارته هى، لم أحدد بالضبط من اختار من.

#راحة

(114)

غريب وسط أغراب، نقطع ظنون بعضنا البعض بأقوال لم نرد قولها وأفعال لم نرد فعلها، أصبحنا كتلة من التصنع تمشى بعقول متثاقلة، نقول ما لا نحس به ونفعل ما لانؤمن به، نحبس أنفسنا فى صور لا تشبهنا، وما أوقف ظنونهم محاولتى الدائمة لإرضائهم على حساب قول فى محله أو فعل إرادى حر أو صورة بالألوان الطبيعية، جميعنا يفعل نفس الشيء المبهم الباهت المتكلف وكلنا يهتم بنظرة المشوه الآخر، لا أنا أنا ذلك العفوى التلقائى البسيط الحر الذى كنت تعرفينه، ولا أنتِ أنتِ تلك العفوية التلقائية البسيطة الحرة التى كنت أعرفها، لماذا تقررين الآن الرحيل؟ تتركين مشوهًا لترتمى فى أحضان مشوه آخر؟ لماذا يسعى كل منا السعى الخائب للتجمل فى مدينة المشوهين؟

#مدينة__المشوهين

(115)

عدت من سفر طويل بالكاد تحملنى قدماى، لم أتذكر أين كنت وماذا فعلت ولم أهتم، الليل شديد السواد حالك لا ترى من السماء كف يديك، الشوارع خالية إلا من وقع خطواتى، لا أعرف الوقت ولم أهتم، اقتربت من منزلى سمعت صوت أختى تنادى على أبى بلهفة فهمت منها أنه متعب، دق قلبى دقات سبقت خطاى، اقتربت منها، تفحصتها بقلق، ربت ظهرها فالتفتت بدهشة، لم تكن أختى، حمدت الله فى سرى وربت كتفها ودعوت لأبيها، تعجبت الغريبة، سرت فى طريقى مسرعة شاكرة وعلى بعد ثانيتين لقيت أبى فى منزلنا المفتوح على منزل الغريبة لا يفصل بينها لا جدار ولا باب ولا شيء، ارتميت فى أحضانه بلهفة وسألته عن صحته جاوبنى بابتسامة وبإيجاب وسألنى عن حالى فأخبرته أنى بخير مادام هو بخير.

استيقظت فرحة رغم أننا منفصلان فى عالمين بعيدين ولا أعلم

متى وكيف أصل إليه؟
ولكن أليس الحلم بمسكن؟ أليس الحلم بنعمة؟ أليس الله بأرحم الراحمين؟

#حلم

(116)

ظللت طوال اليوم غارقة فى محاولة غير مجدية لاستعادة تركيزى الذى سلبته منى نظرة، كنت أسير مسرعة للحاق بموعدى وأصدقائى الذين كانوا بانتظارى، نظرة قصيرة الزمن، بين انتباه العين وطرفتها، طويلة المعنى، هزتنى، حركتنى فى أقل من فيمتو ثانية، نظرة عفيفة اخترقتنى، ولم تجرحنى، حفظتها فى عينى كزهرة بيضاء وسط كتابى، ندمت على عدم الانتباه وقتها وتقديس موعد ولو مهم على حسابها، تمنيت لو أعطيتها وأعطيته حقه، تمنيت لو صرت كمانا بين يديه تخلق حواراً مشتركا بيننا، تحولت السماء فوقنا معزوفة بأصابعه، وصارت أرض الأوبرا راقصات باليه، وقاد الشجر أوركسترا من الورود، واستحلنا جميعا- بنظرة - كسيمفونية لموتسارت، دقات قلبى لم تتوقف عن التساؤل طوال الليل الساهر الغارق معنا فى عالم من النغم: فيم تختلف نظرة الموسيقى للمرأة عن غيره من البشر؟

#نظرة

(117)

ستأتى حتماً اللحظة التى أضع فيها قلمى وأترك أوراقى وأرحل، لا بد من وقت ترفع فيه الأقلام وتجف فيه الصحف، هل بعد هذه اللحظة سأفكر فيما فعلت ولم يكن على فعله أو فيما لم أفعل وكان على فعله؟ هل سأندم للمرة الأولى فى حياتى؟ هل ستعاتبنى أحلامى المؤجلة؟ هل سأحزن على النعيم خلفى الذى لم أذقه أم سأفكر فى الرخاء والنعيم الأبدى الذى لم أتأكد من حدوثه بعد؟ وماذا عن الرحلة الأخرى التى ستبدأ لتوها؟ آه! أشعر بإرهاق شديد هل سيكون عندى طاقة لبدء رحلة جديدة، أعيش فى حفرة وسأرقد فى حفرة هل ستختلفان؟ الاختلاف يحتاج عدة مختلفة، هكذا يقولون، ولكنهم غير قانعين أن الحفرة الجديدة ومساحتها متر واحد قد تكون أوسع من القديمة المترامية الأطراف بغيبية لا تتفق وعلوم الهندسة المعمارية وعلم المساحات وعلم الحساب والأرقام وعن مساحة وحسابات العقل، هل ستكفى عدتى التى أعددتها فى حفرة ضيقة للعيش داخل الحفرة الجديدة؟ وكم من الوقت سأرقد فى الحفرة؟

وماذا بعد الحفرة؟

ليس معى قلمى ولا أوراقى الآن لأخبركم بوضعى ولكنى أصدق على جملة حفرتها على حفرتى الجديدة قبل سكنها بأيام:

«عذراً حفرتى الأولى أعطيتك أكثر من حقك».

#الرحلة__الثانية

(118)

سرق قطعة شيكولاتة فى صغره، اقترف ذنباً صغيراً وبشره ببئس المصير، انشرح صدره للاعوجاج فى الكبر وللحرية التائهة فى طريق من الفوضى، وارتاحت نفسه للكسل، نفض أعباء القضية وألقى أتعابها خلفه، ورفع عن كاهله مشاق الالتزام والاستقامة وشطب من قلبه قائمة الصواب والخطأ، انتشر الأذى بين سبعة مليار بنى آدم ويد المبشر مختبئة فى يديه، متوارية عن الأعين، تلوثت البحار والمحيطات وتعبأت السماء بدخان أسود، ظهرالفساد براً وبحراً وجواً وفى كل خطوة تسانده وتدعمه خطوات المبشر، فعل كل المحرمات لا من أجل المتعة ولكن لأنه لا يريد أن يندم على ذنب لم يذق حلاوته قبل مواجهة النار، أليست هذه فرصة جيدة لفعل ما أريد وقتما أريد كيفما اتفق متجاهلاً ماذا بعد؟

ولم يشأ أن يموت إلا أن يقتل مبشره وكان قد أنهكته الحرية التى تقف متحجرة فى وجه سلطة السماء والضمير، قتله وتاب وتفاجأ بمغفرة وجنة.

#بئس__المصير

(119)

لم ينفِ ولم يثبت ما أشيع عنه، ولكنه أثبت «بالفعل» ما ينفيه.

#إشاعة

(120)

كلما مر عليها يحاول محاولات فاشلة إخفاء نظراته القاتلة لها، يعصر قلبها عدم فلاح نظرية التوقعات معه، كان كلما أتى إليها أحد يشكو سوء أخلاقه تصرخ وتنفى: «أنا ابنى متربى أحسن تربية»، وعندما كان يشكو إليها أساتذته فهمه البطيء واستيعابه العسير تصرخ وتنفى: «ابنى سيكون مهندسا قد الدنيا»، ولكن لم يظهر أى أثر للبيجماليون عليه، لم يتحول التمثال البليد الأصم مهندساً بدون معلم، ولم يصبح سليط اللسان عذب اللسان بدون موجه، لا يرى فى أمه - هذا الثلاثينى الأمى العاطل - سوى تاجرة تنمية بشرية فاشلة، خاب عملها الذى لم تقم به من الأساس، وهل يفلح التوقع بلا عمل؟

#قد__الدنيا

(121)

فى العمل طوال اليوم أو مع الأصدقاء فى العطلات، أعمل، ألهو، ليس لدى وقت للتفكير فى شيء سواهما، وأعود للبيت آخر كل ليل تستقبلنى الوحدة ويفتح لى الاكتئاب أحضانه، أرفع يدى للسماء متألما باكيا، أرتاح قليلاً، وأنام وحيدا، وأعود للعمل وللأصدقاء، ألهو وأتلهى، وأعود للخلوة المرعبة وللتوحد، أرفع يدى للسماء وهكذا دواليك، كدت أتأقلم وحاولت تسليح نفسى ضد هذا الشعور الأسوأ على الإطلاق، ولكن مؤخراً ظهر صوت لاواع فى قلبى يمزقنى كلما ذهبت للبيت ويدفعه إنكارى الواعى: الإنسان لا يتذكر الله إلا وهو وحيد ولا يذكر الله إلا عندما يقع فى مشكلة.

#وحيد

(122)

انطفأ نور السينما وفى لحظات انتقل من واقع إلى رحمة واقع أجمل، واقع الخيال، واقع مرسوم بريشة فنان، يعيش بوعيه الآن واقعا عاشه الفنان قبله بصورة غير واعية.

سلا همومه ومشكلاته ومسؤولياته ونسى الوقت، لم يرغب فى الخروج ولكنهم طعنوه فى خياله حينما قرروا فتح الأنوار معلنين النهاية.

كان دائم التفكير فى مخرج حقيقى مؤقت من الواقع المؤلم، أيكتب رواية خيالية؟ ولكنه ليس كاتباً ولا روائياً.

ووجد مرامه أخيراً فى التأمل والحلم، ولكن من أين يجد عشر دقائق للتأمل قبل النوم وهو لا يقوى على رؤية شكل السرير قبل أن يرتمى فى أحضانه بعد دورانه فى الساقية طوال اليوم، وكيف يضمن ألا يتحول الحلم كابوسا بنهاية اليوم المليء بالأشباح والوحوش؟

#من__النور__إلى__الظلمات

(123)

نصحوه بالصبر على ما لم يحط به خبراً، رآهم يفعلون كل المنكرات عن أمرهم.

مل الصبر المبطن بقلة الفهم وقلة الحيلة، هل سيظل يستنصحهم ويتبعهم صامتا، إلى متى؟ هل هناك شيء مفهوم فى ذهن الدنيا حتى يستكين لمر هذا الصبر؟

#الصبر__الحرام

(124)

كنت أبحث عن السرير من شدة الإرهاق كطالب أنهى امتحاناته لتوه، لمحتها من بعيد تحمل بوكيهًا من الأزهار الحمراء الزاهية، وكأنها تحمل ملاكا فى مهده، ولكن وجهها كان ينطق بالقلق والذبول، حملت عنى التعب، يا ترى اشتراه لها أحد أو اشترته لأحد أو حتى اشترته لنفسها؟ جميع الظنون مدهشة، اعتراف الإنسانية بشراكة الورد فى الحياة شيء مذهل فى ذاته، حمدت إنسانيتها وجرأتها، رن هاتفها تهللت وكأنها سمعت الحكم ببراءتها من جريمة شنعاء وقالت: الحمد لله أنى سأقابِلك أخشى دخول شارعنا بمفردى بالورد يظن جيرانى بى الظنون.

سحبت دهشتى وعاد التعب ونظر إلى الورد مستغيثا، ولكنى بقلة حيلتى لم أستطع نجدته.

#استغاثة

(125)

هربت من الكاتب روحه، فاستغاثوا بالسجان، نقل إلى المستشفى، عجز جهاز التنفس عن إعادة روحه لجسده، فصل الطبيب الجهاز وسط دهشة تلامذته وممرضيه والعكسرى الذى كان مكلفًا بالوقوف فوق رأس الكاتب، ناول الطبيب للكاتب قلمًا وورقه، ردت إليه روحه وانتظمت أنفاسه، انبهر تلامذته وممرضوه وأظهروا إعجابهم بمعلمهم، سحب العسكرى بهدوء الورقة والقلم، ارتد الكاتب بلا روح ثانية، ووضع جهاز التنفس مرة أخرى على فمه وسط دهشة الطبيب وممرضيه وتلامذته.

#روح__غائبة

(126)

أشعر براحة فى الصمت وشرف يستحق وسامًا وفخرعجيب، لا أريد التصديق على كلامه ولا أرغب فى الاعتراض، لا أريد كتمان وجهة نظرى ولكنى لا أرى فائدة من النقاش مع إنسان صار متوحداً كتوءم ملتصق مع فكرته، ما يؤذيها يؤذيه أذى مباشرا، يناقش ليقنعك، لا ليصل للحقيقة أو حتى يبقى على الحياد، وإذا طعنته فى فكرته انقض عليك يفترسك، يبدأ النقاش وينهيه وقتما يشاء وكيفما يريد، فلماذا تدخل فى معركة خاسرة مع عدو ضعيف متنطع.

كرر سؤال أليس كذلك، أليس كذلك؟ ولم يرد سوى التصديق بنعم أو حتى بإيماءة إيجاب أو ابتسامة قبول، ولكنى تقمصت دور صماء بكماء وحتى عينى لم أحركهما والابتسامة أبت أن ترتسم، حكم على من هذا الدور بالبلاهة، وسقطت أمامه فى اختبارات البلاغة والبيان، وتركت المعركة لقلمى فى ميدان آخر، ميدان حقيقى متكافئ، وسجلت إعجابى بصمت فضل دور البلهاء عن دور الخائنة.

#إن_من_الصمت_لسحرا

(127)

نعتذر ونتعشم أن يعفينا الاعتذار من الالتزام، نعتذر ونستعد بعده للراحة ولكن شيئا غامضا يحول دون هذه الراحة، لماذا لا نفكر فى قرار الاعتذار جيدا قبل أن نقدم عليه؟ نجيد خلق الأعذار ونجيد بروزته بالاعتذار كى تظهر وكأنها عين الحقيقة لا ادعاء، لماذا الأعذار متاحة لمن لا يريد ولا يستطيع وشحيحة لمن يريد ويستطع؟ لماذا لا نفعل أى فعل شريف لتجنب الكذب وإن كان الاعتراف بعدم الاهتمام أو الاعتراف بالكسل أو تقلب المزاج أو حتى عدم الرغبة، فهل الأعذارسوى كذبة محكمة التأليف وقت تقديم الاعتذار؟

سمعت صوت الكذب يمتزج بصوته وهو يعتذر عن عدم حضور ندوة مناقشة عملى الجديد: اعذرينى لم أستطع الحضور، سددت أذنى وهو يحكى عذره الكاذب، أيًّا كان لا أريد سماعه، تذكرت غريمه وقد أخذ إجازة من عمله رغم صعوبة ذلك، وصديقتى التى تركت رضيعها مع والدتها، وصديقى المصاب الذى جاء بمساعدة عكاز وأخى الذى قطع رحلة عمل مهمة.

 # اعتذار__وأعذار

(128)

سأل المذيع الكاتبة: كيف تريدين أن يذكرك العالم بعد وفاتك؟

- لا أهتم.

قال بدهشة: كيف؟

- أنا أعمل بعيداً عن أعين الناس، وبغض النظرعن آرائهم فى شخصى، فكيف يشغلنى ما سوف يدور بأذهانهم بعد رحيلى.

واستأنفت ضاحكة: وهل يذكر العالم الأحياء وسط هذا الضوضاء كى يتذكر الأموات؟

نظر بدهشة.

أكملت جادة: لن أهتم كثيراً برأيهم، سأكون مشغولة بحياتى الجديدة كما أنا مشغولة بعملى الآن.

زاد اندهاشه وهى مستمرة بلا مقاطعة:

من يستفيد بالذكرى الطيبة؟ ورثتك والمهتمون بأعمالك التى تركتها، قد تكون صدقة جارية، ولكن من يجازيك هو الله وليس الناس، قد تسعى طوال حياتك لطبع صورة معينة فى ذهن الناس ولا

تفلح فى ذلك، لا تهتم، فقط اعمل، اعمل وعينك على عملك وليس على الناس، اعمل لنفسك ولهم هذا هو الأهم.

أخبرنى، كيف تريد أن يذكرك العالم بعد وفاتك؟

نظر إليها المذيع مندهشاً شارداً ناسياً الكاميرا والجمهور.

#ذكرى

(129)

تائهة فى دوامة هذا السؤال الأجوف: ما فائدة الأسئلة التى يخترعها الإنسان ويلح بها على أخيه الإنسان وكأنه لم يذق مرارتها، ألا ترحم بنى آدم من شيء عانيته؟ يتوقعون إجابة سلسة وسهلة على السؤال الذى يظنونه سهلا، من أنت؟! من أكون أنا ياتري؟ تكلم، تكلم عن نفسك، أتكلم عن كل شيء بفلسفة عميقة ومعلومات أكيدة وأنا فى قمة ثقتى، عن التاريخ، عن الآثار، عن تنشيط السياحة، عن تطوير السياسة الداخلية والخارجية، عن تعويم الجنيه، عن ارتفاع سعر الدولار، عن الصحة وأزمة الإسكان ومشكلات التعليم، عن الفيزياء والنسبية والذرة، عن الميتافيزيقا ، الساتياجراها، الجولوجيا، الأنثروبولوجيا، أى مشكلة وأى قضية وأى علم.

أحكى حلقة مسلسل أو فيلما وكأنك أمام شاشة، أعرف أخبار مطربى المفضل ولاعبى المفضل وممثلى المفضل وصديقى المقرب وأحكى لك مسارحياتهم تفصيليا، كل هذا أسهل عندى من ذلك السؤال المعقد، من أكون؟

لى فلسفة فى الحياة وهى عدم فلسفتها، أنا فى نظرى شخص وفى

نظرك آخر، أنا أربعة عشر مليارًا بعدد عيون العالم، وأنا عند الله وجه آخر لا أعرفه، من أنا يا ترى سوى أشخاص، لا أعرف تسميتهم ولا وصفهم ولا أستطيع إخبارك عنهم، فلماذا تصرعلى بذلك السؤال السخيف، الذى يوقعك فريسة الحيرة مثلى الآن لو وجه إليك؟

وإذا حالفنى الحظ وأعطيتك إجابة هل ستتوافق وعينيك؟!

#من__أنت؟

(130)

اشتكى للطبيب النفسى قائلا: أعانى من الغيرة من الآخرين، من شدة الغيرة.

اقترب منه الطبيب وربت كتفه وقال شارداً:

كمباراة كرة قدم بين فريقين متكافئين فى التسديدات على المرمى وفى ضياع الأهداف وفى الإنذارات وحالات الطرد، متساويين تماما فى فرص المكسب والخسارة، لكل منهما مرمى مختلف لا يستطيع أن يسدد أحد فى مرمى الآخر وإلا أخذ عليه ويعاير بقلة العقل، وإذا لم يسع كل واحد إلى مرمى التسديد يؤكل ويركن على الدكة كهامش فى الفريق، وهناك دقيقة لا بد للمباراة أن تنتهى والأداء مهم كالأهداف الفعلية المسجلة، وإن كانت الأهداف هى ما تحسم المباراة لصالح أحدهما وهى ما تبقى فى الذاكرة بعد انتهاء المباراة وهى ما تصنع تاريخ اللاعب.

نظر للطبيب بريبة وهم بالانصراف.

استوقفه الطبيب قائلا: كيف يحسد الإنسان إنسانًا آخر، أى إن كانت حالته والرزق والشقاء وزعا بينهما بالعدل؟!

نظر إليه المريض وجلس مفكراً.

#٩٠_دقيقة

(131)

هل توجد لحظة أقوى وأصدق من هذه اللحظة وأنت تمزق بيديك وبلذة غريبة عملا قد طبعت عليه كلمة النهاية من دقائق؟ عملا أخذ من وقتك وأعصابك وراحتك وروحك، لم أندم على بدأته ولم أسعد بختامه، وها أنت تعلن عن راحتك الحقيقية فى تمزيقه وحجبه فى لحظة شك فى دعمه ووصوله لمستحقيه أو فى قيمته، تراها لحظة قوية وصادقة، عملا بطوليا فى عصر ماتت فيه البطولة سوى فى كتب التاريخ والأساطير وفى المتاحف، فالانسحاب ليس ضعفا دائما بل قد يصنع أبطالا فى الساحات المظلمة الظالمة، فلماذا يرونه هم عملا جنونيا؟

#لحظة__جنون

(132)

صاح بإصرار وعنف وعيناه تنطقان غلا وشرا: لن أطلق.

تهلل وجه أهلى وفرحوا بتمسكه بى، ولكن فرحتهم لم تتم، نظر لى نظرة مساوم مجنون وقال بحدة: اخلعينى واتركى لى كل شيء وتنازلى عن كامل حقوقك.

رددت بثقة: لم أعتد الخسارة ولن أقبلها، سأخلعك وأنا رابحة.

تعجب الحضور، واستأنفت: صفقة رابحة جدا سأتنازل عن حفنة من النقود وبعض من الروبابيكيا مقابل تنازلك عن رجولتك.

#صفقة

(133)

كل الشواهد أنبأت بنجاح مشروعنا، دراسة جدوى ممتازة، شريكان متفاهمان ونفس التخصص، درسنا كثيرا وقرأنا أكثر، وحماسنا وحسن نيتنا سبقا أيدينا للعمل، ولكن شيئا غير مفهوم أفشل المشروع وكل منا أخذ يرمى الآخر بأسباب الفشل، تنهد شريكى وقال بهدوء ورضا: حان وقت الانفصال، لم نخسر شيئاً.

أجبته بحسرة: تقصد لم نكسب شيئاً.

- ما ضررك؟ عدنا إلى وضعنا الأول.

- وهل العودة للوضع الأول شيء يدعو للرضا؟ هل دوام الحال يسر؟! من ليس لديه استعداد للخسارة لن يكسب أبداً.

تركته وانصرفت لأبدأ من جديد.

#على__وضعنا

(134)

سلمت الجزء اللاواعى من قلبى لقلبه الحجر المغلف بالحديد، وهل أسهل من الضعيف ليستغل؟ دمر جزءا من حياتى، رددته لاشعورياً، وليس كل التسامح خيرًا، عاد ودمر الباقى منها.

#قلبى__الباطن

(135)

فى القطار، فى عربة الدرجة الثالثة، يشحن البنى آدم مع البهائم، وإذا تضررت البهائم يشحن فى عربة أخرى أو لا يركب من الأساس، يقف فى فاترينا على رصيف المحطات، يبيع جزءًا منه ليحيى أجزاء أخرى أو هكذا يتخيل كبائع أعضائه الذى تخور قواه وكرامته بعد استيقاظه من الغيبوبة، يبيع مجهوده وصحته لسيد العمل، بعقد عبودية موقع برضاء الطرفين، يبيع عقله، أفكاره، ضميره، أى جزء تقع عينه عليه ويستطيع أن يحييه أو هكذا يتخيل، يعاير المرأة التى تبيع جسدها ويقسو عليها ولا ينظر لجراحها الداخلية ونزيف الكرامة الذى لا يتوقف ولا يؤمن أنهما متساويان تماماً، فهل يلجأ الإنسان إلى بيع جزء منه إلا ويكون هذا رغمه واختياره الإجبارى الأخير، ألم نخجل ونحن نقول اختياره؟ ولكنا لا نجرى سوى وراء عيوب الآخرين وإن كانت متطابقة مع عيوبنا.

وبعد وفاته لا يسلم، تشرح جثته لإجراء التجارب، بالرغم من أنهم يجرون تجارب أفضل وهو جثة حية، قد حير العلماء فى قدرته

الفائقة على التكيف مع من يشترونه بالتجزئة ولا قيمة له جملة، فعديم القيمة يجد الناس القيمة فى جزء منه فقط سواء جثة حية أو جثة هامدة، وإذا لم يجدوا له قيمة تركوه يموت فى هدوء محتفظاً بكل جزء فيه سوى آدميته، ولا يجرم من تسبب فى موته، مريح فى حياته وفى موته.

أتيت من رحم هذا العالم ولكنى لا أشعر بالانتماء إليه، ولسخرية القدر لا أشعر بالانتماء لأى شيء، بعد اكتشافى أن الدرجة الثالثة كالثانية كالأولى، فى عدد البهائم ولكن ربما تختلف عمليات البيع والشراء اختلافا طفيفا، ربما.

وهل لى الآن فى موقفى هذا على الرصيف من قرار، عادة أركب القطار وأقف فى المحطات فهل لنا من خيار ثالث؟ وهل تفيد الوقفة التأملية هذه فى شيء سوى اجترار الحسرة والوجع؟!

#أشلاء

(136)

سئم ولم يعد يتحمل ألم أبنائه وهم يصرخون من استغاثة بطونهم التي تتضور من الجوع، ولا يطيق نظرات زوجته التى ترسل إليه رسائل ضمنية بأنه قوام عليها بما ينفق، أنهكه غلبة الدين ومطاردة الدائنين وتغيير محل سكنه باستمرار وقسوة شعور اللجوء فى وطنه، والأمر القاسى «ارحل» طالما أنك لست سعيدا بيننا، فمعاناتك وشكواك الدائمة تكدر صفونا وتخلق روحاً تشاؤمية وتبث مناخ اليأس.

وحين يفكر فى الهجرة يسمع أصواتا شبحية تدينه وتتهمه بالخيانة، ألم يفكر سعد زغلول بالهجرة يوماً؟ وحينما يفكر فى الانتحار يتهمونه بالكفر، ألم يقدم غاندى على الانتحار يوماً؟ وهل ما يعانيه من الإيمان فى شيء؟ هل له أن يفتح أذنيه للوعاظ المتنطعين الذى لا يقدمون ولا يؤخرون، بل يكنزون الذهب والفضة على حساب ألم أذنيه وروحه؟ هل يليق به أن يحيا قديساً راضيا قانعا مبتسماً وسط هذه الصورة السوداء القاتمة؟!

وهل خرج من رحم الدنيا قديساً خالصاً، يغتسل كل يوم فى النهر المقدس؟!

#أسطورة__القديس

(137)

دائما ما تطل أمامى قصة الناسك والتكوين الجهنمى لعائلته، كيف أنه أتى بقطة ليتخلص من الفئران، ثم أتى ببقرة ليحصل للقطة على لبن، ثم أتى برجل ليرعى البقرة، لا أستطيع توصيف وظيفتى هنا، أتذكر أول مرة رأيتها فيها وهى جالسة تعايننى كضابط ضبط لصا، تستجوبنى بنظرات جادة وحادة عن قدراتى ومهاراتى فى الطبخ والغسيل والتنظيف وكأننا فى مكتب للخادمات، ولم ينطق ابنها وقتها وإلى الآن أسمع صوته نادرا، ولكن صوت يده وصرخاتى تكاد تصل إلى المريخ مارة بسماء لا زلت أنتظر عدالتها، أدركت تدريجيا أنها كانت تبحث عن خادمة بعقد رسمى حتى تضمن ولاءها وعدم فرارها إذا لم تحصل على حقوقها المادية والمعنوية وعلاوة تضمن جنسا شرعيا لابنها وتقيه من الانحراف.

ما زلت أصرخ وما زالوا مقتنعين أن على أن أصبر وألا أكون قليلة الأصل، ولكن إلى متى سأظل فى مرعى البقر، أسهر على خدمتهم ومتعتهم؟

#عائلة__ناسك

(138)

اجتمعت القبيلة للبت فى قرار ابنتهم بالزواج من خارج القبيلة، سألها شيخ القبيلة:

- ماذا يعجبك فيه؟

قالت: صادق، لاقطيعى، وصاحب قضية.

قال الشيخ بهدوء: اختصرى وقولى علمانى.

ضحكت بصوت عال، غضب الشيخ، فسكتت فجأة.

صاحت القبيلة: تحبين كافرًا؟!

ابتسم الشيخ بخبث، حاولت مناقشتهم ولكن صوتها ذاب وسط الجموع.

تعالى صياحهم: تحبين كافرًا إذاً أنتِ كافرة.

قالت: نعم كافرة.

سكت صوتهم.

قالت: كافرة بكذبكم، بقضاياكم الفارغة، كافرة بقطيعكم،

(نظرت للشيخ وقالت مبتسمة بخبث) وبرأسه.

أعلنت انشقاقها عن القبيلة، وقطعت صك الوصاية للأبد، رفع شيخ القبيلة يده عن عقابها وتركها بمفردها فى مواجهة القبيلة.

#يوميات__كافرة

(139)

فى طريق العودة من الضلال والفجر يشقشق، لقيهم مصادفة، حاول أن يتوارى خلف جدار ولكنهم أمسكوا به، واصطحبوه للمسجد، كان حائرا بين خجلين، خجل من أصدقائه، كيف يصرح لهم بفعلته والمكان العائد منه، وخجل من الله كيف يصلى وهو ليس طاهرا، ولكن كفة خجله من الناس ربحت وبدأ الصلاة، كانوا يدعونه «الطائش» ويعرفون ممارساته ولكن كانوا يأملون فى إصلاحه، سقط الطائش وهو يؤدى حركات الصلاة فتفحصوه ثم كبروا «الله أكبر».

كانوا يدعون أخاه بـ«التقى»، وحاول كل من الطائش والتقى أن يجذب أخاه لطريقه ولكن دون جدوى، وفى هذا اليوم البائس بعد أن تركها الطائش لتوه، حاولت جارتهم الحسناء اجتذاب أخيه التقى لشقتها وهو فى طريقه للمسجد، فاستعصم، سمعت وقع أقدام على السلم- والذى نزل من فوقه الطائش مسرعا إلى الشارع قبل دقائق حينما سمع وقع أقدام أخيه التقى- فصرخت وعكست الآية لصالحها فانهال عليه الجيران وأهل الشارع ضربا حتى لفظ أنفاسه الأخيرة

وكبر الجموع «الله أكبر».

فى جنازة مهيبة خرج خلف الطائش الآلاف من قريتهم والقرى المجاورة ولقبوه الولى، وكانوا يدعون الله ليلا ونهارا سرا وعلانية بميتة كهذه فى رمضان ويوم جمعة، وزعموا أن نعش الطائش كان طائرا فوق أعناقهم وكان مبتسما حينما أسلم الروح، ودفن التقى بعيدا عن أعين الناس وأعين البوليس والمحققين ولكن أعين السماء لا تغفل، وبقيت ذكرى الطائش الولى وبنوا له مقاما يبكى فوقه المذنبون ومن فى قلبه حاجة وكانت البشرى تساق لمن يراه فى المنام أو يدعى رؤيته، ودفنت ذكرى التقى للأبد.

كانوا يتغنون دائما بحسن الخاتمة، فلا فائدة فى رحلة تقى إلا بحسن الخاتمة، افعل من الذنوب ما تشاء فالعبرة بالخواتيم، ولكن أليس الموت مرتبطا بالحياة؟ البعض يؤمن أنه جزء منها والبعض يؤمن أنه نهايتها، وما الحياة سوى غيبيات ولغة قلوب، فكيف نعطى لمشاهد النهايات توصيفات وتوصيف السماء قد يختلف؟

كانت الحسناء كلما رأتهم تصيح ضاحكة هازئة «مغفلون»، فينصرفون عنها وأحيانا يرمونها بالجنون.

#الطائش__والتقى

(140)

أخذت معلمة الموسيقى تشدو بالنشيد الوطنى بصوت عذب وسط أطفالها: «بلادى بلادى بلادى .. لك حبى وفؤادى».

استوقفها تلميذ لها متسائلا: ماذا تعنى كلمة وطن؟

نزل عليها سهم الله، فكثيراً ما توجه إلينا أسئلة نفترض أنها بديهية ومع ذلك نعجز عن الإجابة عنها، ويشب الأطفال عاجزين نتيجة عجزنا هذا، ونعجز جميعا وتتوه المعانى والمفاهيم وتتوه القيمة، فإذا لم يكن لدينا مفهوم لكلمة وطن فكيف لنا أن نعرف قيمته؟

لمعت عيناها فجأة وكأنها عثرت على التائهة أو على تفاحة نيوتن وقالت بأداء تمثيلى وبتنهيده: الوطن، الوطن يعنى حضن.

تجمدت وجوه الأطفال استفهاما وكأنهم فى القطب الشمالى، تداركت ارتباكها ورجعت لهيبتها وقالت بجدية: فلنستكمل الحصة، وعادت تشدو شاردة: «بلادى بلادى بلادى .. لك حبى وفؤادي».

#يعنى__إيه__كلمة__وطن

(141)

توقفت الساقية لدقائق، نزع عصابة عينيه، نظر بعيدا فرأى عوده – صديقه القديم– وتعجب كيف لم يناده ولم يلتفت هو إليه وهما معا لم يفترقا طيلة عشر سنوات، اقترب منه ونزع عصابته، تناول الريشة وبدأ يداعبه ولكنه أبى أن يجيبه، وبعد محاولات عديدة لاسترضائه استجاب كمريض فقد تنفسه واستعاده بتنفس صناعى أو بصدمات كهربائية، عزفا سويا لحن العودة الحزين، عاد وعوده أصدقاء ولكن كل منهما كان يشير للآخر على استحياء بأصابع الاتهام، عادا ولكن ليس بصفاء الصداقة الأولى واللقاء الأول والشوق الأول واللهفة الأولى والنظرة الأولى واللمسة الأولى، وهل تعود علاقة لوضعها الأول بعد إهمالها، وشك كل طرف فيها فى تورط الطرف الآخر فى الخيانة؟ هناك جرح كامن صامت مستقر بداخلهما، جرح حلم مشترك بينهما دفن ولن يعود للحياة بعودة صداقة صديقيه.

#عود

(142)

دقت الواحدة، انتبه للساعة فزعاً وقال بارتباك محدثاً نفسه: ليس لدى سوى ثلاث ساعات فقط، هل أستطيع إنهاء مهمتى على رأس الرابعة؟ ماذا لو لم أنجز هذا العمل فى وقته؟ هل سأجازى؟ أم سيتم لفت نظرى فقط؟ كم من التعنيف سأحصل عليه من المدير؟ سأحال معاشاً مبكراً جدا؟ أم سيأخذ غيرى - ممن هم تحت يدى- مكانى؟ أم سيأخذ أحد زملائى دورى فى الترقية القادمة؟ ماذا لو تم استبعادي؟ من سينفق على البيت؟ هل ستطلب زوجتى الطلاق ويشرد أولادنا؟ وقتها سيترك أولادى المدارس الإنترناشونال ولن يجدوا وظائف لائقة بالتأكيد ولن يتزوجوا أبناء عائلات محترمة وسينجبون أبناء جهلة إن لم يكونوا أطفالا يسكنون الشوارع، والشارع يعنى الجريمة، وستأويهم الأحداث وعندما يخرجون سيعايرون ويرفض أى أحد أن يثق بهم ويوكل إليهم عملا شريفا وسيتعجبون أنهم أحفاد مهندس محترم يعمل فى شركة محترمة.

دقت الثالثة، انتبه للساعة فزعا وقال بأسى: مهندس محترم كان، كان يعمل بشركة محترمة.

#بينى__وبينى

(143)

لم أشعر بشيء يتملكنى سوى الملل وغلبة النعاس رغم أنى أخذت قسطا وفيرا من النوم، كنت أجلس آخر صف لأكشف الجميع، حدثت مرة صدفة وصارت عادة، جميع الحضورغارقين فى يوتوبيا كاذبة والمحاضر مستمر فى اللعب بالبيضة والجحر، يتحدث عن التفاؤل فتنظر للحضور وكأنهم فراشات طائرات وأنا وحدى كسول كذكر النحل، ويصر أننا يجب أن نتفاءل ونتغير ونتطور ونكون إيجابيين، ولكنى وبرغم إنصاتى الشديد له لا للاهتمام ولكن لحب استطلاعى عما يثير هذه الجموع لسماعه، لم الحظ أنه ذكر لماذا أو كيف خلال محاضرته، وفجأة أشار تجاهى وسألنى:

- ما آخر شيء غيرته فى حياتك؟

فاجأنى ولكننى رددت بتلقائية: أنبوبة البوتجاز.

ضحك الحضور وكذلك هو وتعجبت.

- ما آخر شيء ظبطته بحياتك؟

- منبهى.

تعالت ضحكاتهم.

- ما آخر إنجاز حققته؟

- حصولى على تذكرة لمباراة القمة، آه شيء آخر (أنصت الجميع باهتمام) تأهلنا لنهائى إفريقيا.

تجهم الحضور استياءً من إجاباتى الساذجة واستكمل هو استجوابى.

- وما آخر إخفاق؟

- عدم تمكنى من دخول الاستاد يوم المباراة وعدم حصولنا على الكأس.

- بماذا تحلم؟

- أحلم بالتأهل لكأس العالم.

- ما هى مشكلاتك؟

- مممم، مشكلات عديدة، التغيير المتكرر للمدير الفنى، المباريات بدون جماهير، إيقاف بعض اللاعبين المشهود لهم بالكفاءة، مشكلات عديدة.

سأل بسخرية: هل أنت لاعب كرة؟

رددت بثقة: لا .. مشاهد.

سأل بسخرية: بماذا تحلم للوطن يا مشاهد؟

- بوطن.

رددت دون تفكير ولكن بأسى غائر، تحول إنصات الجميع كله لى ولأول مرة شعرت بأهمية حضورى بينهم.

- وبماذا تحلم لنفسك؟

- بلاعب أساسي.

هتف الحضور: إلى المسرح يا ملهم، إلى المسرح يا ملهم.

صعدت المسرح مرتبكا متعجباً ونزل هو فى خزى، لم أر أمامى سوى وجوه بائسة تحتاج دليلا للحرية والابتسامة، حجبنى عن رؤيتها دائماً - وللأسف- اختيارى للصف الأخير.

#مشاهد

(144)

طرقت كل الأبواب إلا الباب الذى يوصلنى لطريقى، وحينما وجدته مصادفة وبعد عناء كان موصدا، بحثت عن المفتاح طويلا لم أجده ولم أفكر أبدا فى جيبى، وحينما وجدته بداخله كان الباب الحديدى قد أصابه الصدأ والمفتاح فقد فعاليته، فكرت أن آتى بحداد ليصهره توجهت إلى الحداد فوجدته أسلم الروح منذ يومين، مللت السعى والعمل ولعنت سوء حظى وأعين الناس وسوء نواياهم وتركت الباب، واعتدت على ارتياد مجالس الشيوخ والعرافين كى يفكوا لى العمل.

#الباب__الموصد

(145)

لا أعرف بالضبط حكمة ترك مجانين فى الشوارع بيننا خارج العباسية، كالمجنون الذى يسكن منطقتنا، لا يحمل فى الدنيا سوى هم لقمة وربما نحمله فوق طاقته ونظن أنه يحمل همًّا، فهل يحمل الهم سوى عقل عاقل؟ يسير فى الطرقات لا يقول سوى جملة واحدة متكررة للمارة: «رايح فين؟ رايح فين؟ ياعبيط يامجنون»، آكل وأنام وأحمل هم اللقمة، لا أجيد شيئاً سواها، ولم يفسحوا لى الوقت سوى لحمل هم اللقمة، ولا أعرف هل أشكرهم وأدعو لهم لتوجيه طاقتى لهم واحد أم ألومهم على صدأ عقلى؟ لا أعرف.

مات كلانا فصار الناس يتناقلون حكايات المجنون، كان يسكن هنا مجنون يقول «رايح فين؟ رايح فين؟ ياعبيط يامجنون»، وسلوا عبدا أكل ونام وحمل هم لقمة، رغم أنى دونه كنت أعتنى بنظافتى الشخصية ولم أنم على الرصيف قط أو أسفل كوبري.

#أثر__مجنون

(146)

ارتكنت الطفلة برشاقة إلى السيارة الفخمة حاملة صينية الترمس، كان صاحبها محبوساً بداخلها وكأنه بحبس انفرادى داخل زنزانة سوداء معتمة، لا يترك الهاتف أذنه كتوءم ملتصق، لفت انتهابى الطفلة وهى تعبث بتراب السيارة الذى لا يتناسب وفخامتها وراحت ترسم بيتاً وعيونا ورسمت قلبا، كنت أتابعها بحماسة عالية، ولأول مرة لم أتضجر من وقوف الإشارة، ولم أنصح الطفلة بعدم اللعب بالتراب، شعرت بالخجل وسوء أدب أن أنصح طفلة وجهها معجون بالتراب وهو سريرها بالشارع ألا تلعب به خوفا على صحتها، ولأول مرة ألحظ أن التراب قد يخلق فنا أرقى وأكثر إنسانية من بنى آدم.

طردنى من عالم الفن صوت الرجل وقد خرج من محبسه وصاح بالفنانة الصغيرة ليقطع بقسوة وجهل اللوحة فى منتصفها ليلحق بميعاد فارغ، وبعد ساعات كان على كل شاشات التلفزيون يتحدث عن تبنيه مبادرة إنقاذ «أطفال بلا مأوى».

#معجون__بالتراب

(147)

ترسم- مثل معظم الأطفال - بيتاً وترسم نفسها ضخمة بجواره، فنضحك، وعندما كبرت تضاءلت صورتها بجوار البيت والسيارة الفارهة وجميع ممتلكاتها.

#أنت__وما__تملك

(148)

بعد أن رزق بخمس بنات فاتنات، اصطحب زوجته للسبع بنات لإنجاب الولد، أشعلت الشموع، وحنت الجدران، وطافت الضريح، حلت البركة وأنجبت بنتين توءم.

#السبع__بنات

(149)

فى ساعة متأخرة من الليل صاحت جارتنا بابنها بصوت حاد صارخ: «اخفض صوتك الناس نيام»، فاستيقظت على صوتها فزعة، وطار النوم بعدها لساعات.

#آسفة__على__الإزعاج

(150)

بلغ استيائى ضخامة الهيمالايا، وتعجبى طول الأمازون من سيره أمامى بجوار زوجته وهى تحمل حقيبتها على ظهرها وكيس بلاستيكى فى يدها بينما يداه فارغتان، قلت فى نفسى بسخط: عاداتهم الغربية تختلف كلية عنا نحن الشرقيين، كانا يسيران ببطء وانسجام وحديثهما الرشيق باللغة الإنجليزية أعطانى الأمل بوجود الحب الأسطورى كالذى نراه فى الأفلام الهوليوودية، أسرعت سيرى لألحق بموعدى فوازيتهما، طل فى وجهى رضيع رأيت فى وجهه وجه الله، يختبئ بنعومة وأمان فى صدر أبيه، مغطى كامل جسده بحامل وكأنه درع واقى كالذى يستخدمه المقاتل فى الحروب، وبخت ظنى ونهرته، وقلت فى نفسى بحسرة: عاداتهم الغربية تختلف كلية عنا نحن الشرقيين.

#غربى

(151)

سخر«النخلة» من قصير القامة، فأكلت حادثة مفجعة ساقيه، وساوت الفسيلة الأرض التى نبتت من رحمها.

#فسيلة

(152)

عثر على المصباح السحرى مصادفة، ركنه بجوار أعماله وأحلامه وقتا طويلا، لم يحاول حكه وإخراج الجنى.

جلس فى يوم يحلم بكوب ماء وهو فى سريره لا يقوى على الخروج من أسفل الغطاء من البرد والكسل، مل الجنى ويأس وخرج من المصباح دون دعوة ولا استدعاء، صاح به متضجراً: شبيك لبيك، أطلب تجاب، هم بأن يعرض طلباته، دخلت والدته بكوب الماء وتوقف عن عرض طلباته على الجنى، شرب حتى ارتوى، صاح به الجنى غاضباً: ألا أكملت طلبك؟ قال بلهجة متكاسلة: لا ليس لدى طلبات أمى قامت بالواجب، عاد الجنى للمصباح وفى نيته عدم العودة لمن لا يكلفه بأعمال جادة يقوم بها.

#واجب

(153)

تحت السحابة الحمراء ووسط الضجيج والضوضاء وعويل المظلومين، بمن نستغيث؟ بمهاتما كغاندى، أنرغب فى قديس كتولستوي؟ أنحتاج مبشراً كعيسى؟ أم يعوزنا هادياً كمحمد؟ كنت أصرخ ويرتد إلى صدى صوتى داخل الكرة المفرغة الفارغة الممتلئة بالصم البكم العمى، لا يسمعنى أحد ولا أحد يهتم بدعواتى للهدوء والسلم، وفجأة هدأ العالم دقيقة، وأمهلنى عين الدقيقة للحديث، عجز لسانى وتوقفت عضلاته عن الحركة، ولذت بالصمت وبالهدوء.

#صمت

(154)

سكنته عقدة الخواجة؛ غرّبت عيناه.

#عقدة

(155)

كالطباخ الذى يطبخ فى الراديو بلا طعام ولا نار، كالطعام الذى نسمع مقاديره وطريقة طهيه ولا نرى طبقا جاهزاً للأكل بنهاية الحلقة، شبعت منه وعوداً كمسئول فاشل وغادرنى بابتسامة سمجة قائلاً: بالهناء والشفاء.

#بالهناء__والشفاء

(156)

قصفوا قلمه، فكتب بحطام دمه.

#قلمـــرصاص

(157)

خُير بين الحياة والموت، فحذف إجابتين.

#بين__الحياة__والموت

(158)

آمن العالم بالموسيقى، فتعطلت الألسن، وانحصرت اللغات، وقتلت المصلحة، وجفت المسطحات الحمراء فوق خريطته.

#لغة

(159)

زاره الغد، فحطم اليوم جزءاً من المجهول، وللعجب لم يتزحزح خوفه من المجهول قيد أنملة.

#مجهول

(160)

سألته نفسه بتحدٍ واستنكار، متعجبة من استمراره غير المبرر: أذكر ثلاثة أسباب تدفعك للاستمرار رغم كل الإحباطات؟

رد بثبات: لا شيء.... لا شيء.... لا شيء.

#استمرار__قدري

(161)

تقوقع الفنان داخل خياله، فنعم بالخلود فى قوقعة فردوسية.

#قوقعة__فردوسية

(162)

تنمر عليها، فصنعت حذاءً من جلده.

#كيد__عظيم

(163)

كلما ذهبت لتاجر يشكو إلى الغلاء والإيجار وفواتير الكهرباء ومصاريف المدارس أشاطرهم شكواهم، فمعاناتنا تختلف بشكل طفيف للغاية، وأحيانا أشترى سحتهم برضا، أفكر وقتها بغباء فى الصدقة المختبئة فى الشراء متناسية وضع جيبى المزرى كوضع جيوبهم.

وخلاف أى مواطن وأى تاجر، شكا لى هذا التاجر الشائعة السخيفة التى تربينا عليها أن التجارة «بوابة الثراء»، ويسب ويلعن مطلق الشائعة رغم أنه لا يعرفه ولم يره قط وأنا مثله، ويتساءل شاكيا فى ذل ظاهر يحاول محاولات فاشلة إخفاءه: لا أريد الثراء، نعم لا أريد الثراء، أليس من الجنون أن نطلب الثراء مع هذا الغلاء الجنونى؟ ولكن هل بديل الثراء الشحاذة؟ لا تتبنى أبداً هذه الدنيا معادلة الوسطية؟!

أخرجت يدى فارغة من جيبى احتراماً لإنسانيته وإنسانيتى.

#كساد

(164)

قصف جبهته فرد الآخر فأفحمه، سالت الدماء على الطاولة وتناثرت الأشلاء والسباب والصراخ وتبادل الاتهامات وضعف الحجة والجهل وتشتت الحقيقة وسط تهليل الجمهور وسعادة المحاور وكأنهم على حافة حلبة مصارعة.

انسحب الحوار فى صمت بعد أن بحث طويلا على كرسى فارغ على الطاولة فلم يجده منذ البداية.

#قصف__جبهة

(165)

قال لصاحبه: نشرت على صفحتى على الفيس بوك منذ يومين بوست يقول: انتظروا مفاجأة خلال ساعات.

رد صديقه: وماذا كانت المفاجأة؟

- أن الناس ينسون أسرع من السمك ونظنهم بذاكرة أطول من الفيل، وأنهم لا يراقبوننا فى صمت كما نتخيل، وأن جلب الكراش خدعة فى كثير من الأحيان.

أقبلت صديقته الجميلة عليهما وقالت برقة ماكرة: انتظرنا مفاجأتك فمتى ستفصح عنها؟

تركتهما الجميلة وتركت لهما الدهشة.

#ذاكرة__السمك

(166)

«أقر أنا ... بأن الكاتبة إسلام محمد يوسف كاتبة موهوبة وقرأت لها بالفعل، وأمنحها 1 جنيه مصري مكافأة لها على موهبتها وتشجيعا لها على الاستمرار».

أعدت الكاتبة هذا الإقرار وعرضته على معجبيها، تحمسوا، ولكن كل معجب يقدم على التوقيع يخطر بباله ضخامة الثروة التى قد تجنيها الكاتبة من فكرتها الجهنمية، ولا يفكر مطلقا فى ضآلة الجنيه، يعتذر لها بشياكة ويتحجج: ليس معى فكة، ويولى عنها مدبراً ولا يعقب، وكثيراً ما ينسى تحيتها.

#عض__قلبى__ولا__تعض__جيبى

(167)

رفع الشابوه وخلع ربطة عنقه فى قاعة الدرس أمام تلامذته، أحبوه وأحبوا العلم، كثر العلماء ورفع له العالم الشابوه.

#شابوه

(168)

حكمت المحكمة حضورياً على المتهم عاطل عطلان بالسجن خمسة عشر عاماً مع الشغل، تهلل وجه عاطل بسماعه الحكم، أخيراً وجد سكنا مستقرا وعثر على عمل شريف بعد سنوات من البحث والسعى، وبدون الحاجة لسى فى ولا إنترفيو ولا محسوبية ولا يشترط إجادة الحاسب الآلى ولا اللغة الإنجليزية بالرغم من إجادته لهما.

#مع__الشغل

(169)

اندهش من ثقافة أجداده ووعيهم وترفعهم عن الشهوات ووقوفهم فى وجه الجشع بسلاح العدس والنباتية، كانوا يأكلون العدس كل يوم كأبى العلاء وكغاندى اعتبروا أكل اللحوم من الكبائر، وتوجه لله بطلب المغفرة على تبطره القديم وندم على جملة «كل يوم عدس» بعد ما عرف قيمته.

ذهب مسرعا حيث الشوال البرتقالى المتلألئ كشمس ذهبية فى سماء ربيع صافية، رفع عينيه حيث لافتة مرشوقة فى قلبه كخنجر مكتوب عليها «40 جنيه»، قفل هارباً إلى عشه بأثاثه القشى كبيت العصفور ولكنه بخلاف العصفور لا يغنى ولا يطير ولا يأكل الحبوب ويعيش بدون العصفورة بعدما هجرته رغم وعودها القديمة بتعمير العش معه.

#كل__يوم__عدس

(170)

نام ليستريح من ضغط العمل طوال النهار، استيقظ مرهقاً من ضغط عمل عقله طوال الليل.

#ما__العمل

(171)

حاولت، فشلت، خسرت، يئست، أحبطت، اكتئبت، انعزلت، اعتزلت العالم وانتحرت، حضرت الشرطة، فقال لها أحبتى بأسى وندم: لا نعلم دوافعه للانتحار.

وهل هذا ليس دافعاً قوياً لانتحاري؟!

#المنسى

(172)

كلام منمق، رصين، رزين، تتوه فى جمالياته التى تسحرك واحدة تلو الأخرى، تنسى معها الكذب المرتب المحكم المحبوك، فالخبر دائماً له روايتان؛ الحقيقة ورواية السياسى، كلام السياسى والحقيقة يسيران فى طريقين متقاطعين، وهى تحبه رغم كل شيء وتهوى سياسته لها، سألته: هل تحبنى؟

أجاب بلا تردد: لا.

طارت من الفرح وقبلته وقالت: وأنا أيضاً أكرهك بشدة.

ضمها إليه بشوق، فهى أيضاً سياسية بارعة.

#كلام__سياسى

(173)

لم ينظر لنصف الكوب الممتلئ ولم يهتم بنصفه الفارغ، صنع كوبا جديدا وملأه بما يشاء وأفرغه مما لا يريد.

#كوب__جديد

(174)

«ستنسى تدريجياً ثم تتلاشى ذاكرتك تماماً».

خرج مهرولاً هارباً من وجه الطبيب دون أن يمهله ليكمل كلماته، فماذا بعد فقدان الذاكرة والذكريات؟

ذهب مسرعا إلى سيارته، بحث كالمجنون عن ورقة وقلم، نوى تسجيل كل مهم فى حياته حتى يقرأه حينما تتلاشى ذاكرته ولكن شيئا ما أوقفه، ماذا سيكتب؟ ماذا يريد أن يتذكر حينما تتلاشى ذاكرته؟ ألم، ضياع، إحباط، حزن، إخفاقات، خسارة، جراح، هل فى حالته سيكون النسيان نعمة؟ النسيان الذى تمنى عمرا أن يعيش فى فيئه وتدلل عليه وحرمه ظلاله، ترك الورقة بيضاء نظيفة وارتاح مستسلماً لفكرة النسيان والعودة لذاكرة طفل بريئة لم تلوثها الأيام.

نسى كل شيء، سار كالمجنون بين الناس يبحث فى أعينهم عن نفسه وذكرياته، عن ألمه وضياعه وإحباطه وحزنه وإخفاقاته وخسارته وجراحه، يقلب فى الصور وفى الوجوه، لا يميز وجوه أعدائه من أحبائه ولا يميز حتى وجهه، لم يستطع أحد أن يصور له الماضى كما تصوره ويصوره عقله، وآنسته الورقة البيضاء فى وحشته.

#ذاكرة__النسيان

(175)

اقتلع أباه من بيته ومن شركته وأودعه داراً للمسنين، سكن الدار كل رجال العائلة، رسموا لهم على جدران الدار شجرة عائلة على صورة شجرة موز تخليداً لذكراهم.

#قاتل__أبيه

(176)

تعلق بحبال هواها الكاذبة، فانتحر مخنوقاً بها.

#حبال__كاذبة

(177)

أقبل على صديقه بوجه تنطق قسماته الإرهاق والتعب والإحباط، وملابسه غير مرتبة على غير عادته وكأنه أنهى عراكًا وأتى لمقابلته، سأل صديقه بأنفاس متقطعة متلاحقة: هل تعلم ماهى الرفاهية؟

اندهش صديقه من السؤال المنافى لهيئته وأجاب بتشكك: أن تسكن بجوار أناس يشبهونك؟

قال باستنكار: ماهذا المزيج المقزز من الطبقية والعنصرية؟!

قال وكأنه عثر على التائهة: أن تسكن فى فيلا بجنينتين.

رد باستنكار: ماهذا السفه؟!

قال وكأنه يتطلع إلى حلم جميل: الرفاهية أن تستيقظ من نومك على راحتك بدون ميعاد محدد وبدون إزعاج المنبه.

قال: الخبز.

اندهش صديقه واستأنف هو: تقف فى طابور ساعتين تحقد وتغل وتحسد من له واسطة فى فرن العيش.

ارتكن جسده المحبط وملابسه المنهكة إلى نهاية الكرسى، ولاذ بالصمت.

#فرن__العيش

(178)

مات على الرصيف من البرد، فلمس دفء الحياة فى القبر والكفن.

#حياة__ميتة

(179)

جلس فى مواجهة أبيها فى إنترفيو عمره، سكنه القلق والرهبة من منبت رأسه لأخمص قدميه.

سأله الرجل بحدة: هل تحبها؟

رد كشاعر: لمستها حرباً بلا راء وسلاماً سلا شعارات السياسة وترك معركته فى الحلم وأصبح واقعاً.

سأله بضجر: أين رأيتها؟

رد: فى أحلامى.

قال بثقة: إذن تزوجها فى الحلم.

انصرف الأب وترك الحالم خلفه.

#الحب__والسلام

(180)

أتوا بالشيخ الجليل العليم، ليفتح المندل ويقرأ الكف، ليعرف إذا كان بيتهم المحظوظ نائماً على آثار وخير الفراعنة، فيشاع عنه هذه الخبرة ولا يضاهيه فيها خبير آثار.

اعتدل عمر ابن رب البيت فى مجلسه والذى رفض عقله وخبرته تصديق الإشاعات حول البيت والتى سترفع حتماً أسهمه فى سوق العقارات وكذلك تصديق القدرات الخارقة للشيخ، سأل عمر الشيخ متحدياً:

أخبرنا يا شيخ أين تقع مقبرة الإسكندر الأكبر؟

أجاب الشيخ بارتباك: هناك خلاف وجدال يا ولدى بين الأثريين حول موقعها.

سأل عمر مستنكراً: ولماذا لم تساعدهم فى اكتشاف موقعها؟!

رد الشيخ متردداً: لم يطلبوا معاونتى يا ولدى (ثم قال بثقة): ولوطلبوا لما تأخرت ولو ثانية.

كبر الحضور، نظر إليهم عمر بدهشة، وقال بمكر: وأنا الآن أطلب منك المعاونة فهذا موضوع بحثي منذ سنوات.

قال الشيخ بعد تفكير للحظات: غير موضوع بحثك يا ولدي.

كبر الحضور وعلا وجه عمر الوجوم والاندهاش.

#الدجال_الأكبر

(181)

شد الرحال إلى معرض الكتاب، تجول، تنزه، التقط سيلفى وصوراً مع أصدقائه ومع الكتب ومع الكتاب حاملاً كتبهم فى سعادة غامرة، نشر كل أخباره وصوره على وسائل التواصل الاجتماعى مباشرة من المعرض.

عاد محملاً بعدد هائل من الكتب، ركنها بجوار أصدقاء الأعوام الماضية.

#معرض__الكتاب

(182)

لم يستطع ترجمة قول «لا» أهى رفض لكاتب فاشل عليه التوقف والبحث عن نفسه فى ميدان آخر؟ أم أنها من ناقد فاشل وعليه الاستمرار والانتصار عليه فى معركته؟

تاه فى حيرته ولكنه تذكر «لا» لنجيب محفوظ وج. ك. رولينج، فلاديمير نابوكوف، باولو كويلو، لوسى مود مونتغمرى، آن فرانك، ستيفانى ماير، جورج أورويل، وملأت قائمة «لا» للمبدعين صفحات وصفحات، وكأن قول «لا» شهادة ميلاد للعظماء.

وها هو عين الناقد الفاشل يشيد اليوم بكاتب أمس الفاشل بعد ذياع صيته وارتفاع أسهم أعماله الملهمة.

#لا

(183)

رأى الموت بعينيه، تراجع ثلاث خطوات فى رهبة وخوف، خطوة تجاه الحلم التائه وخطوة تجاه الحب الضائع وخطوة تجاه الحياة غير المنصفة، ثم تقدم كالسهم وارتمى مطمئناً فى أحضان الموت بلهفة المحب ولذة المشتاق وأمل الحالم.

#الموت__اللذيذ

(184)

رأت فى صورته ابنها المستقبلى وتخيل فى صورتها ابنته المستقبلية، تزوجا وانجبا ابنًا وابنة، نسخاً مطورة منهما.

#نسخ__مطورة

(185)

أهدى رزق ونعمة للمجتمع لصا متمرسا وقاتلا محترفا وتاجر مخدرات محنكًا ونصابا حاذقا وخبيراً بتجارة البشر، كان الناس يعايرونهم بـ «أولاد رزق ونعمة».

#أولاد__رزق__ونعمة

(186)

حرك هدفه من ثباته وسكونه وكسله، فلم يستطع أحد إيقافه أو إصابته.

#هدف__متحرك

(187)

أعرض العقلاء والمثقفون عن الإنجاب والزواج فى جو غير صحى سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ومستقبل غير واضح المعالم، وبعد سنوات غير بعيدة حكم البلاد مجموعة من الجهلاء.

#جهل

(188)

قال لصديقيه مباهياً وهو يضرب النرد ممسكاً بقميصه قرب صدره: هل تعلمان ثمن هذه التيشرت؟

رد أحدهما وكأنه يخمن: مائتا جنيه.

رد متحمساً: أصاب حدسك ولكننى اشتريته بمائة وخمسين فقط.

ضحك ورفع هاتفه فى وجهه ليسكته: هاتفى زاد هذا العام ألفًا ومائتى جنيه عن العام الماضى وقتما اشتريته.

نظر إليه بخزى وكأنه خسر التحدى، قال ثالثهما الذى يجلس على مقربة منهما فى القهوة يتابع مباراة الطاولة الساخنة بينهما شاردا: لم أشتر أنا وأسرتى ملابس جديدة منذ ثلاثة أعوام وأولادى لم يأكلوا منذ ثلاثة أيام، (ووقف مباهياً وقال بحسرة) هل كسبت التحدي؟

استقرت دمعة مكتومة فى عينيه وهبط النرد على الطاولة بصوت بارد، وخشعت كل الأصوات بالقهوة لصوت الألم والحسرة وقلة الحيلة.

#تحدٍّ

(189)

مات الحلم بداخله، فتسمم جسده ومات.

#حلم__ميت

(190)

أثقل بحب الشهوات، فغرق.

#ضلال

(191)

زار السائح المصرى متحف برلين الجديد، وقف مستمتعاً، مستمعاً بكل تركيزه لشرح وتعليق المرشد السياحى على تمثال نفرتيتى الجميلة بوجهها البراق وابتسامتها الساحرة، هم المصرى بأخذ التمثال لرده لأحضان أمه كى تقر عينها أخيراً وتجفف دموعها، ولكنه اعتقل بتهمة السرقة.

طلب منه القاضى الدفاع عن نفسه، فقال: يا سيادة القاضى، يا حضرات المستشارين، المسروقات معروضة فى متحف على مرأى من العالم والمرشد شاهد على السرقة (وأشار للمرشد المشدوه الجالس فى القاعة) ، ماذا تريدون أكثر سيدى القاضى؟

رد القاضى: لا نريد سوى تطبيق القانون.

تهلل المصرى وقال: إذاً ستحكم سيادتك برد المسروقات؟

وبعد المداولة حكم القاضى بإيداع المصرى مستشفى الأمراض العقلية.

#بمتيالين

(192)

«باقى ألف جنيه ونكمل المبلغ»

قالتها سيدة وهى تمسك بالمال بين يديها بقلة حيلة، المال الذى جمعته من أهلها وجيرانها لعملية ابنها الصغير، كان البيت ممتلئاً بأهلها وجاراتها وخاليا من معظم أثاثه سوى بعض المقاعد والنيش.

صاحت بها جارتها: ما تبيعى النيش يا سيدة أهو نواية وهتسند الزير إن شاء الله.

ردت أخرى: نواية إيه؟ إن شاء الله نكمل المبلغ ويفيض كمان.

قالت سيدة (وهى تخمس فى وجهها على استحياء): حماة بنتى معزومة عندى الأسبوع اللى جاى أنتوا عايزين تقصروا رقبتى وأهل العريس ياكلوا وشى.

تبادلت الجارتان نظرات الاستنكار والدهشة ومصمص الحضور شفاههم.

ودعت سيدة آخر سيدة بالبيت ونظرت فى زجاج النيش القريب

من باب الخروج، أصدرت صرخة جعلت ضيفتها تتسمر على السلم فزعاً، اقتربت أكثر من الزجاج وركزت بصرها وأطلقت الصرخة الثانية، أعقبتها بصرخات هستيرية متتالية، رأت سيدة جسدها معكوس على زجاج النيش بلا وجه ولا رقبة.

#وجه__ورقبة__ونيش

(193)

تلقى الشيخ سؤالاً على الهواء: ما حكم عمل المرأة سيدنا الشيخ؟
رد الشيخ: لا مانع يا ولدى، ولكن المرأة ليس لها سوى بيتها، فهذه رسالتها التى خلقت من أجلها، فالجلوس فى البيت أفضل لها، فهى فى البيت جوهرة مصونة.
اعتذرت المعدة لنفسها، وانسحبت المخرجة من الموقع، وأطفأت مديرة التصوير وجه الشيخ .
صاح الشيخ بدهشة: انتظرن، مع من أكمل البرنامج؟!
ردت المخرجة: مع المتصلين ولكن خارج هوائنا.

#خارج__الهواء

(194)

حرمها من العمل ومن الناس ومن هواء الشارع باسم الحب، حبسها فى زنزانته الانفرادية، قيدها بشروط حديدية، مَسَخَها فمَسُخَت، أطفأها واشتكى وحشة الظلام.

أراد ردها لسيرتها الأولى ولكن المسخ تحول إلى كائن سرمدى مشوه يتغذى على الكره ولا يعيش سوى فى الظلام.

#ظلم__وظلام

(195)

«أختك عندها ثلاث بنات يا حبيبتى، عايزاهم يقعدوا جنبى»، أرغمت ضيفتها بهذه الكلمات على الأكل والشراب عنداً فى سعة معدتها ورغماً عن طاقة بطنها.

أصيبت بتخمة ونقلت للمستشفى ونجت بأعجوبة بعد تكرار عين الموقف مع صديقاتها اللَّواتى ابتلين بإنجاب البنات.

كررت زيارتها بعد عدة سنوات ولا يزال بنات ربة البيت فى بيت أبيهن معززات مكرمات، أخفت بناتها عن عين الحاسدة الحاقدة، فلم تلمح الضيفة طرف ثيابهن، طلبت الضيفة كوباً من الماء، فقالت أم البنات بلهجة تشاؤمية: سامحينى يا حبيبتى المايّة مقطوعة من الصبح.

#أم_البنات

(196)

لا يؤمن إيمان الكثيرين أن المعاناة دائماً مقدمة للإبداع، ولا أن الإبداع دائماً مقدمته المعاناة، ولكنه يؤمن أن الألم مكون أساسى فى جسد الإنسان كقلبه وروحه وعقله وجهازه التنفسى، ولكن بين ألمه هو والآخرين حجاب حاجز.

فهو مدين لمشاعره حرصها على إخفاء كسورها التى لا تُرى بأحدث أجهزة الأشعة، ولقلبه المدفون داخله يتألم بصمت فى قفصه الحديدى، وللقنوات الدمعية التى أغلقت بعد جفاف مواردها وإشهار إفلاسها، وتوقفت العين نهائياً عن الإنتاج والتصدير.

التف القراء حول كاتبهم المبدع المحبوب وأمطروه بوابل من الأسئلة، ولاموا عليه أسواره التى بناها حوله ويعليها كل يوم، ابتسم الكاتب لأحبائه قائلاً:

ألمى لى، وقلمى لكم.

#ألمى__وقلمى

(197)

كثرت زلاته ففقد جاذبيته، وغرق سابحاً فى الفضاء وهو يبحث عن أرض الفضيلة الصلبة.

#غرق

(198)

فشلت محاولاته الدءوبة المستميتة فى الإصلاح والتوفيق بين أفكاره وأفعاله بفعل اللاحرية، فقد عافيته وطاقته وجزءاً كبيراً من عقله واستسلم لفكرة الانفصال غير الشرعى وتسريح بلا إحسان.

#انفصال__غير__شرعى

(199)

تحكى الأسطورة أن مجموعة من البشر فى العصور الغابرة وقفوا على الحقيقة فطمسوا معالمها تماماً، ولم يتبق لنا منها أى أثر بعد تحلل أقدامهم.

#أسطورة__الحقيقة

(200)

لا يرى هذه الدموع المستقرة فى عينى والده إلا فى مناسبتين؛ توديع أخيه الكبير أو استقباله من السفر، يحاول إخفاءها فى أحضان أخيه حتى لا يراها أحد، فهو يتذكر حينما توفى جده ارتمى بين أحضان أبيه وهو يبكى بشدة فلفظه من أحضانه وقال له مؤنباً موبخاً: الرجل لا يبكى، رغم أنه كان بعمر السادسة وقتها، ويتذكر بذاكرة حديدية أنه رأى والده يبكى بحرقة على فراق والده وهو مختلٍ بنفسه فأبى الولد أن يحرج أباه أو أن يقطع خلوته أو يحرمه من راحة البكاء أو يمنعه من الحزن على فراق والده.

وقد مر ثلاث سنوات على الحادثة ومن يومها جفت دموعه لا يعلم كيف؟ ومن وقتها لم يذق حضن والده ولا يعلم لماذا؟

ضربه أخوه الكبير – العائد لتوه من السفر – على كتفه مازحاً وقال: لا تزال قصيراً، هل امتنع أبوك وأمك عن إطعامك؟

ثم ضحك.

رد: لا، بل لا أتذكر أنى أذوق حضنيهما ولو مرتين فى العام فى

الذهاب والعودة. (لم يع أخوه مقصده، فقد سمع الصغير أن الإنسان يحتاج فى اليوم أربعة وعشرين حضناً حتى ينشأ سوياً طبيعاً، أربعة للسعادة، وثمانية للسلامة النفسية واثنا عشر للنمو، وهو يعزو إلى ذلك قصر قامته وهو فى التاسعة).

سأل أخاه الكبير: هل أنت سعيد؟

صمت الأخ الكبير مفكراً ولم يرد.

قال الصغير: أريد أن أسافر لأعرف الحب.

رد والداه: وهل لم تعرف الحب بيننا؟

قال الصغير: عندما أسافر وأعود من السفر ستأخذوننى فى أحضانكم مرتين فى العام، وشيء أفضل من لا شيء.

صمت ثلاثتهم متعجبين.

ثم نظر لأخيه الكبير متسائلاً (وهو يمدد قامته ليظهر أكثر طولاً): هل حضنان فى العام كفيلان لإطالة قامتى؟

نظر إليه أخوه الكبير بدهشة ولم يرد.

#حضن

عن الكاتبة :

إسلام محمد يوسف

- أديبة مصرية
- ليسانس ألسن جامعة عين شمس- تمهيدي ماجستير
- صدر للكاتبة:

للكبار فقط/ قصص/ دار سندباد للنشر والتوزيع بالقاهرة ٢٠١٣
خليك إيجابي/ تنمية بشرية/ دار سندباد للنشر والتوزيع ٢٠١٤
على وضعنا / قصص/ دار أوراق للنشر والتوزيع 2017

- للتواصل مع الكاتبة:

Soma.mohammed@hotmail.com

- الصفحة الرسمية: الكاتبة إسلام محمد يوسف

الفهرس

1.مهملات 5

2.فرق توقيت 6

3.كالماء والهواء 7

4.إنسان آلى 8

5.قسمة العدل 9

6.شهادة مجروحة 10

7.خدعة 11

8.زواج تقليدي 12

9.هذا كتابك 13

10.المسحور 14

11.المعطل 15

12.رهين المحبسين 16

13.فرصة فى الأربعين 17

14.رسائل سرية 19

15.محبس وقفص 20
16.حجاب 21
17.يقين بعيد 22
18.مستهلك 23
19.فقيد ومفقود 24
20.دين الهوي 25
21.كل يوم 26
22.عالم الأحلام 27
23.خط أحمر 28
24.ضحك حتى البكاء 29
25. أون لاين 30
26.الانتظار والمجهول 32
27.قصاص 33
28.كما أحببت أخذه 34
29.مناورة قلبية 37
30. النصف الضائع 38
31.الأيدى الناعمة 40
32.حلم قصير 41

33.عمل الرحمن 42
34.زى السكر 43
35.الورقة الكبيرة 44
36. مغامرة 45
37. إنسان 46
38.الخروج من المعتقل 47
39.نهاية الحب 48
40.روبابيكيا 49
41.نعمة الملل 50
42.مدينة الباطل 51
43.غرباء فى زنزانة واحدة 52
44.ضياع 53
45.مادام الله 54
46.كتالوج 55
47.لاعزاء 56
48.نار الخوف 57
49.بالإجماع 58
50.محلها القلب 59

51.شيخوخة 61
52.الغنى الفقير 62
53.المزدوج 63
54.السر 64
55.اختيار 65
56.جزاء المقتسمين 66
57.ميدان المصالح 68
58.المناسب 69
59.أياد بيضاء 70
60.خيانة 71
61. اعتذار 72
62.أحببت كاتبة 73
63.سوق 74
64.مهر كاتبة 75
65.سعادة بالعكس 76
66.سؤال بلاجواب 77
67.انتحار 78
68.ميدان الحرية 79

69.نصفى المفقود 80
70.أهل التفاهه 81
71.طريق كاتبة 82
72.المصنع 83
73.الشركة 84
74.لكل أجل كتاب 86
75.هو وأمثاله 87
76.ودعت شبابى 88
77.يونيفورم 89
78.مارك وآخرون 90
79.الخائن والمتمردة 91
80.الخاسر 92
81.ثقيل الظل 93
82.مرفوض 94
83.عيادة نفسية 95
84.وحدة 96
85.شكراً مقدماً 97
86.الكاتبة إسلام 98

87.خطأ فى العنوان 99
88.النار مثوى لهم 100
89.حرب روحية 101
90.بانٍ فى غير ملكه 102
91.كتابى الثالث 103
92.استفهامات 104
93.مسرح العرائس 105
94.جهنم 106
95.عربة السيدات 107
96.على الطبيعة 109
97.زواج غير شرعى 110
98.مشروع فاسد 111
99.لعبة الحلم 112
100.بومة 113
101.مدينة الموضة 115
102.مات أبى 116
103.مبدأ 117
104.سعى غير مشكور 118

105.عرض البحر 119
106.قبل وبعد 120
107.رحيل 121
108.حيرة 122
109.مدينة الأحزان 123
110.قصة حياتى 124
111.صور 125
112.انسحاب إجبارى 127
113.راحة 129
114.مدينة المشوهين 131
115.حلم 132
116.نظرة 134
117.الرحلة الثانية 135
118.بئس المصير 137
119. إشاعة 138
120.قد الدنيا 139
121.وحيد 140
122.من النور إلى الظلمات 141

123.الصبر الحرام 142
124. استغاثة 143
125.روح غائبة 144
126. إن من الصمت لسحرا 145
127.اعتذار وأعذار 146
128.ذكرى 147
129. من أنت 149
130. 90 دقيقة 151
131.لحظة جنون 152
132.صفقة 153
133.على وضعنا 154
134.قلبى الباطن 155
135.أشلاء 156
136.أسطورة القديس 158
137.عائلة ناسك 159
138.يوميات كافرة 160
139.الطائش والتقى 162
140.يعنى إيه كلمة وطن 164

141.عود 165
142.بينى وبينى 166
143.مشاهد 167
144.الباب الموصد 170
145.أثر مجنون 171
146.معجون بالتراب 172
147.أنت وما تملك 173
148.السبع بنات 174
149.آسفة على الإزعاج 175
150.غربى 176
151.فسيلة 177
152.واجب 178
153.صمت 179
154.عقدة 180
155.بالهناء والشفاء 181
156.قلم رصاص 182
157.بين الحياة والموت 183
158.لغة 184

159.مجهول 185
160.استمرار قدري 186
161.قوقعة فردوسية 187
162.كيد عظيم 188
163.كساد 189
164.قصف جبهة 190
165.ذاكرة السمك 191
166. عض قلبى ولا تعض جيبى 192
167.شابوه 193
168.مع الشغل 194
169.كل يوم عدس 195
170.ما العمل 196
171.المنسى 197
172.كلام سياسي 198
173.كوب جديد 199
174.ذاكرة النسيان 200
175.قاتل أبيه 201
176.حبال كاذبة 202

177.فرن العيش 203
178.حياة ميتة 204
179.الحب والسلام 205
180.الدجال الأكبر 206
181.معرض الكتاب 208
182.لا 209
183.الموت اللذيذ 210
184.نسخ مطورة 211
185.أولاد رزق ونعمة 212
186.هدف متحرك 213
187.جهل 214
188.تحدٍّ 215
189.حلم ميت 216
190.ضلال 217
191. بمكيالين 218
192.وجه ورقبة ونيش 219
193.خارج الهواء 221
194.ظلم وظلام 222

195.أم البنات 223
196.ألم وقلم 224
197.غرق 225
198.انفصال غير شرعى 226
199.أسطورة الحقيقة 227
200.حضن 228